

ديوان الشافعي

هجر الأئمة وإمام الأئمة
الإمام أبي عبد الله محمد بن إمام الشافعي رضي الله عنه
المولود عام ١٥٠ هـ : ٧٦٧ م
والتوفي عام ٢٠٤ هـ : ٨٢٠ م

تحقيق

الدكتور محمد عبد المنعم ضفاجي

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

الناسخ

مكتبة الكليات الأزهرية

٩ ش. الصناديقية . الأزهر . القاهرة

الطبعة الثانية
مزيدة ، منقحة
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

• تم الصف والتصوير على أجهزة الكمبيوتر
بمدار
الغد العربي
٣ شارع دانش - العباسية
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الديوان

سيرة الإمام الشافعي وشاعريته

بقلم : د . محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

الإمام الشافعي هو من هو ، إمامة في الدين والفقہ والأصول
والحديث واللغة والأدب والشعر والنقد .

حدّث الربيع بن سليمان قال : سمعت عبد الملك بن هشام
النحوي صاحب المغازي يقول : (الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة) .
وقال أحمد بن حنبل : كان الشافعي (من أفصح الناس ، وكان مالك
تعجبه قراءته لأنه كان فصيحاً) .

وحدث أبو عبيد القاسم بن سلام قال : كان الشافعي ممن يؤخذ
عنه اللغة (أو من أهل اللغة) .

وقال الربيع بن سليمان (كان الشافعي عربي النفس عربي
اللسان) .

وقال أحمد بن أبي سريج (ما رأيت أحدا أفوه ، ولا أنطق من
الشافعي) .

وحدث أبو نعيم الاستراباذي ، سمعت الربيع يقول : « لورأيت الشافعي وحسن نيانه وفصاحته لعجبت منه ولو أنه ألف هذه الكتب على عربيته - التي كان يتكلم بها معنا في المناظرة - لم يقدر على قراءة كتبه لفصاحته وغرائب ألفاظه - غير أنه كان في تأليفه يجتهد في أن يوضح للعوام » .

وقال الجاحظ (نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم ، فلم أر أحسن تأليفاً من المطلبي (الشافعي) كأن كلامه درأ إلى در) .
وقال الإمام أحمد : « ما مس أحد محبرة ولا قلمًا إلا الشافعي في عنقه منه » .

وقال الذهبي : « كان حافظاً للحديث بصيراً بعلله ، لا يقبل منه إلا ما ثبت عنده ، ولو طال عمره لآزاد منه » . .

والشافعي هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مذكرة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أد .

يلتقى مع رسول الله ﷺ في عبد المطلب ، فهو من هاشم عم رسول الله ﷺ وعن ولادته فقد روى رحمه الله عن نفسه ، قال :

ولدت بغزة سنة خمسين ومائة - يوم وفاة أبي حنيفة فقال الناس مات إمام وولد إمام - وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين . وقال : وكانت أمي من الأزد .

وحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير :
أنه خرج إلى اليمن فلقى محمد بن إدريس الشافعي وهو مُستحضر في
طلب الشعر والنحو والغريب ، قال فقلت له إلى كم هذا ؟ ! لو طلبت
الحديث والفقہ كان أمثل بك ، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به
إلى مالك بن أنس وأوصيته به ، قال فما ترك عند مالك بن أنس إلا الأقل
ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه ، ثم شخص إلى العراق
فانقطع إلى محمد بن الحسن فحمل عنه ثم جاء إلى المدينة بعد سنين ،
قال فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفته حاله الذي صار
إليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

ويروى عن الشافعي أنه قال : كنت أنا في الكتاب أسمع المعلم
يلقن الصبى الآية فأحفظها أنا ، ولقد كنت - قبل أن يفرغ المعلم من
الإملاء - قد حفظت جميع ما أُملي ، فقال لي ذات يوم : ما يحلُّ لي أن
أخذ منك شيئاً ، قال : ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقطُ
الحَرْفَ (١) والدَّفوفَ (٢) وكَرْبَ النَّخْلِ (٣) وأكتافِ الجِمالِ (٤) أكتب
فيها الحديث وأجىء إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور (٥) فأكتب فيها
حتى كانت لأمي حبابٌ (٦) فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرباً مملوءةً حديثاً ،
ثم إنى خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلمُ كلامها وأخذ
طبعها ، وكانت أفصح العرب .

(١) الحزف : كل ما عمل من طين وشوى حتى يكون فخاراً .

(٢) الدفوف : الجلود التي يعمل منها الطبل .

(٣) كرب النخل : أغصان النخل العريضة الغليظة .

(٤) أكتاف الجمال : جمع كتف عظيم عريض خلف المنكب .

(٥) أى الأوراق .

(٦) حباب : جمع حب . وعاء يوضع فيه الماء مثل الجرة .

قال : فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار ، وأيام العرب ، فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمى فقال لي ، يا أبا عبد الله : عز علي ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه فتكون قد سُدَّتْ أهل زمانك ، فقلت : فمن بقي نقصد ؟ فقال لي : مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ ، قال : فوقع في قلبي فعمدت إلى الموطن فاستغرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليالٍ ظاهراً قال : ثم دخلت إلى والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة ، وإلى مالك بن أنس قال : فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالي ، فلما أن قرأ قال : يا فتى إن مشى من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون عليّ من المشى إلى باب مالك بن أنس ، فلست أرى الذلُّ حتى أقف على بابه ، فقلت : - أصلح الله الأمير - إن رأى الأمير أن يُوجَّه إليه ليحضر ، قال هيهات ، ليت أني إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق^(١) نلنا بعض حاجتنا . قال : فواعدته العصر وركبنا جميعاً ، فوالله لكان كما قال : لقد أصابنا من تراب العقيق . قال : فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير : قولي لمولاي إنني بالباب قال : فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت : إن مولاي يقرئك السلام ويقول : إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب . وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف ، فقال لها : قولي له إن معي كتاباً من والي مكة إليه في حاجة مهمة . قال : فدخلت وخرجت وفي يديها كرسي فوضعت ، ثم إذا أنا بهالك قد خرج وعليه المهابة والوقار . وهو شيخ طويل مسنون اللحية^(٢) ،

(١) الوادي وكل مكان شقه السيل ، واسم واد في ظاهر المدينة .

(٢) مسنون اللحية : أي طويلها .

فجلس وهو مُتَطَلِّسٌ^(١) فرفع إليه الوالى الكتاب ، فبلغ إلى هذا ، إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع ، فرمى بالكتاب من يده ثم قال سبحان الله! أوصار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل؟ قال : فرأيت الوالى تهيبه أن يكلمه فتقدمت إليه وقلت : - أصلحك الله - إني رجل مُطَلِّبٌ ومن حالى وقصتى ، فلما سمع كلامى نظر إلى ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لى : ما اسمك؟ قلت محمد ، فقال لى يا محمد : اتق الله واجتنب المعاصى ، فإنه سيكون لك شأن من الشأن ثم قال : نعم وكرامة ، إذا كان غداً تجيء ويجيء من يقرأ لك . قال : فقلت أنا أقوم بالقراءة .

قال : فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب فى يدي فكلما تهيبت مالكا وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتى وإعرابى فيقول يافتى زد حتى قرأته^(٢) فى أيام يسيرة ، ثم أقمت بالمدينة حتى توفى مالك بن أنس ، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لى بها الشأن وكان بها وال من قبل الرشيد ، وكان ظلوماً غشوماً وكنت ربياً آخذ على يديه وأمنعه من الظلم . قال : وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا - فكتب الوالى - وإنى أخاف أن يخرجوا وإن ههنا رجلا من ولد شافع المطلبى لا أمر لى معه ولا نهى . قال : فكتب إليه هارون الرشيد : أن احمل هؤلاء واحمل الشافعى معهم . ففقرنت معهم . قال : فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن . قال : فدعا

(١) أى لابس الطيلسان : هو كساء مدور أخضر .

(٢) أى الموطأ .

هارون الرشيد بالنطع^(١) والسيف ، وضرب رقاب العلوية ، ثم التفت
محمد بن الحسن فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا المطلبى لا يغلبك
بفصاحته فإنه رجل لسن ، فقلت مهلاً يا أمير المؤمنين ، فإنك الداعى
وأنا المدعو ، وأنت القادر على ما تريد منى ولست القادر على ما أريد
منك .

يا أمير المؤمنين ، ما تقول فى رجلين : أحدهما يرانى أخاه والآخر
يرانى عبده أيهما أحب إلى ؟ قال : الذى يراك أخاه . قال : قلت فذاك
أنت يا أمير المؤمنين . قال فقال لى : كيف ذاك ؟ فقلت يا أمير
المؤمنين : أنكم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم . قال
فسررى ما كان به فاستوى جالساً فقال : يا ابن إدريس : كيف علمك
بالقرآن ؛ قلت : عن أى معلومة تسألنى ؟ عن حفظه قد حفظته ووعيته
بين جنبى وعرفت وقفه وابتدائه ، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه
ووحشيه وأنسيه وما خوطب به العام يراد به الخاص ، وما خوطب به
الخاص يراد به العام . فقال لى : والله يا ابن إدريس لقد ادعيت علماً
فكيف علمك بالنجوم ؟ فقلت : إنى لأعرف منها البرى من البحرى
والسهلى والجبلى والفيلقى^(٢) والمصبح وما تحب معرفته . قال : فكيف
علمك بأنساب العرب ؟ قال فقلت إنى لأعرف أنساب اللثام وأنساب
الكرام ونسبى نسب أمير المؤمنين . قال : لقد ادعيت علماً فهل من
موعظة تعظ بها أمير المؤمنين ؟ قال : فذكرت موعظة لطاووس اليمانى

(١) بساط من الجلد .

(٢) كلمة يونانية .

فوعظته بها ، فبكى وأمر لي بخمسين ألفاً وحملت على فرسى وركبت من بين يديه وخرجت فما أن وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على حجاب أمير المؤمنين ويوايه . قال : فلحقني هرثمة وكان صاحب هارون الرشيد فقال : اقبل هذه منى . قال فقلت إنى لا آخذ العطية ممن هو دونى وإنما آخذها ممن هو فوقى . قال : فوجد فى نفسه . قال : وخرجت كما أنا حتى جئت منزلى فوجهت إلى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينار وقلت : اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لى ووجه بها إلى . قال : فكتب لى ووجه بها إلى .

وقد قضى الشافعى السنوات الأخيرة من حياته فى مصر . ففى يوم الخميس أول ربيع الثانى عام ١٩٩ هـ - التاسع عشر من نوفمبر عام ٨١٤ م ، أى منذ اثنى عشر قرناً هجرىاً ، أو ١١٦٥ عاماً ميلادياً - وفد على مصر الفسطاط من مكة المكرمة عالم قریش وإمامها ، محمد بن إدريس الشافعى ، ومعه ابنه أبو عثمان محمد (- ٢٣٢ هـ) ، ومعه كذلك زوجه حميدة حفيدة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، ثم بنتاه زينب وفاطمة ، وذلك للإقامة الدائمة فيها ، وكان فى ركبته تلميذه أبوبكر الحميدى (- ٢١٩ هـ) .

وكانت شهرة محمد بن إدريس العلمية ملء الأسماع والبقاع ، فالعالم الإسلامى كله يذكره بالخير والتقدير والإكبار . . .

وصادف دخوله الفسطاط دخول نائب والى مصر الجديد ، الأمير العباسى ، عبد الله بن عباس بن موسى . وكان الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) قد ولى العباس بن موسى على مصر ، فبعث ابنه عبد الله إلى الفسطاط نائباً عنه فى حكم البلاد فدخلها فى اليوم الذى

دخلها فيه الشافعي مدينة مصر وعاصمتها ، وقبله الإسلام فيها ،
الفسطاط .

ونزل ابن إدريس فيها على أخواله من الأزدي ، ثم كان في ضيافة
عبد الله بن عبد الحكم القرشي (١٥٥ - ٢١٤ هـ) ، وهو صديقه
وزميله في طلب العلم في حلقة الإمام مالك ، رضى الله عنه ، في
المدينة المنورة

وأخذ ابن إدريس يتردد على جامعة ، أو جامع ، الفسطاط ،
للصلاة ، ولحضور حلقات العلم فيه وكان أبو رجب الخولاني العلاء
ابن عاصم يتولى إمامة الجامع العتيق ، جامع عمرو ، أوتاج الجوامع
ويلقى قصص السيرة والفتوح ، في إحدى حلقاته ، وكان الشافعي
يصلى خلفه ، ويقول فيه : ما صليت خلف أحد أتم صلاة من أبي
رجب (١٣٥ و ١٣٦ / ٢ حسن المحاضرة للسيوطي) .

وها هو ذا ابن إدريس عالم قريش ، « الذي ملأ طباق الأرض
علمًا » كما وصفه الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) يجلس في
جامعة الفسطاط ، في حلقة علمية خاصة به ، ومن حوله ابنه أبو
عثمان ، وتلميذه الحميدي ، ومحمد (١٨٢ - ٢٦٨ هـ) ابن صديقه
القرشي عبد الله بن عبد الحكم ، وكان محمد كأبيه مالكيًا ، ولكنه أنس
بالشافعي ، ووثق بعلمه ، ورغب في الإفادة منه ، فأخذ يتردد على
حلقة صديق أبيه ، وخاف المالكيون ذلك وأنكروه لما فيه من وضوح
الانصراف عن المذهب إلى مذهب هذا القادم الجديد ، وشكوا إلى
أبيه ، فأخذ يخفف من حدتهم ، ويهدئ من ثورتهم ويقول لهم إن ابني
محمدًا شاب صغير ، يجب أن يستمع إلى الآراء وأن يناقشها .

ثم كان إذا انفرد بابنه يقول له : يا بني ، الزم ابن إدريس . وكان عبد الله إماماً جليلاً ، تصدر زعامة المذهب المالكي وتدرسه في جامعة الفسطاط ، وألف كتباً فيه ، وأبناؤه الثلاثة : عبد الحكم (- ٢٣٧ هـ) ومحمد (- ٢٦٨ هـ) ، وعبد الرحمن المؤرخ ، كانوا نجوم الفسطاط ، ملأوا آفاقه علماً وفضلاً ، وقد جلسوا في حلقة ابن إدريس ، وأفادوا من علمه وكان عبد الرحمن من أحرصهم على التردد عليها وكانت أسرة عبد الحكم في الفسطاط أسرة جاه ومجد وعلم ، يأوى إليها العلماء والأدباء والشعراء ويستظلون بظلها ، ويلقون الكثير من برهم وكرمهم .

وتعهدت ابن إدريس بالبر والرعاية كذلك السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور . حفيذة زيد بن الحسن بن علي (١٤٥ - ٢٠٨ هـ) وكانت قد هاجرت إلى الفسطاط عام ١٩٣ هـ ، وأقامت فيه ، فراراً من اضطهاد العباسيين للبيت العلوي ، وظلت في مصر هي وزوجها إسحاق بن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنهم ، وعاشت في الفسطاط خمسة عشر عاماً إلى أن وافاها الأجل عام ٢٠٨ هـ ، وكانت حفاوتها بابن إدريس لا تعادها حفاوة .

ورأى الناس عالماً من قریش ، يجلس في جامعهم للتعليم ، يصلي فلا يرون أحسن صلاة من صلاته ، ويتحدث فلا يسمعون أعذب حديثاً من حديثه ، مع صباحة وجهه ، وواسع كرمه ، وعلو كعبه ، فافتنوا به ، وواظبوا على الجلوس في حلقة .

ونخف إلى مجلس ابن إدريس العلمي في جامعة أوجامع الفسطاط : البويطي (- ٢٣١ هـ) والربيع الجيزي (- ٢٥٦ هـ) ، والمزني (- ٢٦٤ هـ) ، والربيع بن سليمان المرادي (- ٢٧٠ هـ) ،

ويونس بن عبد الأعلى (١٧٠ - ٢٦٨ هـ) وغيرهم .

واتسعت حلقاته اتساعاً كبيراً ، حيث أخذ الشافعي يلقي محاضراته في الفقه وأصوله وفي التفسير والحديث ، وفي اللغة والأدب ، على الطلاب ، ويملي عليهم رسائله وكتبه .

ومع أن حلقات العلم في جامعة القسطنطينية كانت : كثيرة وكبيرة ، إلا أن حلقة ابن إدريس كثر طلابها ومريدوها كثرة مذهلة ، وصارت بكثرة المترددين عليها أكثر الحلقات ، وأعظمها أثراً في خدمة الدين واللغة والأدب .

وكان ابن هرم يكتب للأستاذ الجليل ابن إدريس ، والبويطي يقرأ له الدرس والطلاب يسمعون ثم يكتبون ، وفي زاوية الخشابية بالمسجد الكبير - الجامعة الإسلامية الأولى في مصر - التي عرفت بابن إدريس كان نسكه وعبادته ، وكان يجلس فيها ليكتب ، ومن حوله تلاميذه ومريدوه .

ولما وقف الإمام الشافعي على قبر الليث بن سعد (٩٣ - ١٧٥ هـ) ، قال : لله درك يا إمام لقد حزت أربع خصال لم يَجْزُهُنَّ عالم ، العلم والعمل والزهد والكرم .

وكان يبدأ دروسه بالقرآن وتفسيره ، ثم بالحديث وعلومه ، ثم بالفقه وأصوله ، ثم بالعربية وعلومها .

وكان يقول : من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في الفقه نبه قدره ، ومن نظر في اللغة رق طبعه ، ومن نظر في الحساب جزل رأيه . وكان يناظر سرج الغول

الشاعر الأديب في الأدب والشعر والنقد ، وكان لسرج حلقة أدبية كبيرة في الجامع العتيق .

وكان لابد أن يغضب المالكيون خوفاً على مكانتهم الروحية التي زعزع منها ابن إدريس ، إذ لم يصبحوا في الصدارة كما كانوا من قبل ، حتى إن « فتیان بن أبى السمع » المالكى الفقيه ناظر الشافعى ، وأسرف في اللدد والخصومة في مناظرته ، ووجه إلى ابن إدريس كلاماً لا يصح أن يقال له ، فعلم أمير مصر بالأمر ، فعاقب ابن أبى السمع عقاباً شديداً أجازراً . وأخذ تلاميذ « فتیان بن أبى السمع » يطاردون كل من يذهب إلى حلقة الشافعى ، غضباً لأستاذهم ، وجاء عيسى بن المنكدر قاضى مصر فيما بعد على مدى عامين (٢١٢ - ٢١٣ هـ) إلى الأستاذ العظيم ابن إدريس يلقي عليه اللوم لأنه أحدث مذهباً جديداً . ولكن الجماهير كانت بالمرصاد لكل من حاول أن يمس مكانة الأستاذ الجليل ، كما كان والى مصر « السرى » (المتوفى عام ٢٠٥ هـ) بالمرصاد لابن أبى السمع حيث عاقبه عقاباً رادعاً .

★ ★ ★ ★

وكان الإمام ابن إدريس يذكر مكة المطهرة في شوق كبير إليها ، ويذكر إمام بغداد أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) بالشوق والحب ويقول : « لقد وعدنى أحمد أن يقدم إلى مصر » ويقول لتلميذه يونس ابن عبد الأعلى (٢٧٠ هـ) يا يونس أدخلت بغداد ؟ فرد عليه يونس : لا قال : ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس .

وكان ابن إدريس يقول عن ابن عبد الأعلى هذا : ما رأيت أحداً

أعقل من يونس بن عبد الأعلى . وكان أحمد بن حنبل يقول في الشافعي : « كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس » ، ويقول عنه : ما علمت أحداً أعظم منةً على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي . ويقول ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله تعالى من هذا القرشي .

- ٢ -

وكان ابن إدريس قد ولد في غزة عام ١٥٠ هـ ، وبين غزة وعسقلان عاش مع أمه يتيمًا عامين . ثم ذهبت به الأم إلى بلده مكة البلد الحرام ، فلما جاوز الرابعة من عمره أقبل على القرآن الكريم يحفظه ، وما أتم السابعة إلا وقد تم حفظه وتجويده . ويقص عن نفسه قصة حياته الأولى فيقول :

وخرجت إلى البادية ، فلزمت هذيلًا ، أتعلم كلامها ، وأخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب ، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة ، أرحل برحيلهم ، وأنزل بنزولهم . فلما رجعت إلى مكة ، جعلت أنشد الأشعار ، وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب ، فمر بي رجل من الزبيريين ، فقال : لقد عز علي أن لا يكون مع هذه اللغة ، وهذه الفصاحة والذكاء ، فقه ، فلو حصلت الفقه . فتكون قد سدت أهل زمانك .

فقال الشافعي : ومن بقى يقصد ؟ فقال : هذا مالك سيد المسلمين في المدينة . فوقع كلامه في قلبي . فاستعرت « الموطأ » وحفظته في تسع ليال ، وعزمت على الرحلة إلى مالك .

ويقول محمد ابن بنت الشافعي : أقام الشافعي على تعلم العربية وأيام الناس عشرين سنة ، وقال : ما أردت منه إلا الاستعانة على الفقه .

أصبح لابن إدريس شأن في حلقات المسجد الحرام ، لما عرف به من حدة الذكاء . وجودة الطبع ، وجمال البيان ، وفصاحة اللهجة . وحسبك به حفظه لكتاب الله وهو في السابعة وللموطأ وهو في العاشرة ، وتصدره حلقة في المسجد الحرام وهو في الخامسة عشرة من عمره ، ثم الإذن له بالإفتاء وهو في العشرين .

وكان يحفظ من شعر الهذليين وحدثهم عشرة آلاف بيت ، عدا ما حفظه من شعر العرب وخطبهم وبلاغتهم .

أخذ في المسجد الحرام العلم والفقه عن أئمة الفقه والتفسير والحديث واللغة ، وجلس في حلقة مسلم بن خالد الزنجي ، مفتي مكة وفتيها (١٨٠ هـ) . وسفيان ابن عيينة (١٩٨ هـ) شيخ المحدثين ، وكان سفيان يقول فيه : هذا أفضل فتيان أهل زمانه .

ثم غادر مكة إلى مدينة رسول الله ، ليأخذ الحديث على مالك شيخ المحدثين (٩٤ - ١٧٩ هـ) . وفي حلقاته تعرف بالكثير من أترابه الشداة الناهجين نهجه في التعلم والتعليم .

ولم يلبث أن ولي قضاء اليمن ، بمساعدة مصعب بن عبد الله القرشي وتوصيته عليه عند والي اليمن ، وفي اليمن لقي جماعة من العلماء والمحدثين أخذ عنهم ، وأفاد منهم كمطرف بن مازن الصنعاني ، وعمرو بن أبي مسلمة صاحب الأوزاعي ، ويحيى بن

حسان صاحب الليث بن سعد إمام مصر . وهشام بن يوصف قاضي صنعاء ، وغيرهم واتهمه حساده والحاقدون عليه بالعلوية ، ورفع أمره إلى الرشيد فاستدعاه وساءله ، وكان ذلك عام ١٨٤ هـ فنفى الشافعي ذلك عن نفسه ، وشهد له محمد بن الحسن (١٣٢ - ١٨٩ هـ) لدى الرشيد ، وكان محمد زميلاً للشافعي في حلقة الإمام مالك ، في المسجد النبوي في المدينة المنورة ، فعفا الرشيد عنه ، وأخذ يتردد على حلقات العلم في بغداد ولم يلبث أن عاد إلى مكة ، حيث عاود تصدر حلقاته في المسجد الحرام .

وزار الإمام أحمد بن حنبل مكة عامي ١٨٧ ، ١٩١ هـ وجلس إلى الشافعي ، وملاً قلبه وعقله جميعاً . وكان أحمد يقول فيه لبعض أصحابه : تعال حتى أريك اليوم رجلاً لم تر عيناك مثله ، إن فاتك عقله فإني أخاف ألا تجده إلى يوم القيامة ويقول ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله تعالى من هذا القرشي ، وجاء الأصبمى (٢١٦ هـ) إلى مكة ، ولقى الشافعي ، وأخذ عنه أشعار هذيل كما أخذ عنه شعر الشنفرى ، مع جلاله قدر تحصيله للغة والأدب والشعر ، ولكن ليس ذلك على الشافعي ، وقد كان الحافظ (٢٥٥ هـ) يقول فيه : كأن لسانه ينث الدر .

وبعد أحد عشر عاماً من رحلته إلى بغداد ، عاد عام ١٩٥ هـ إليها ثانية في خلافة الأمين ، فقضى في العراق عامين ، وجلس فيهما إلى علماء بغداد ، وجلسوا إليه : الحسن بن زياد اللؤلؤي (٢٠٤) . والكرابيبي (٢٤٥) ، وأبو ثور (- ٢٤٠ هـ) ، والزعفراني (- ٢٦٠ هـ) .

وقرأ كتب أبي حنيفة (١٥٠ هـ) ، وأصحابه : أبي يوسف (١١٣ - ١٨٣) ومحمد بن الحسن (١٢٢ - ١٨٩ هـ) : وأملى مذهبه القديم في بغداد .

وعاد إلى مكة عام ١٩٧ هـ ، ولم يلبث أن تركها إلى بغداد ، فدخلها للمرة الثالثة عام ١٩٨ هـ ، ليقم فيها عدة أشهر ، يرحل بعدها إلى مصر الفسطاط ، وإلى جامعة الفسطاط ، في رحلته الخالدة ، التي جاءت في نهايات حياته .

- ٣ -

وفي مصر الفسطاط كانت قد نشأت مدارس فقهية كثيرة ، ففيها نبغ عبد الله بن وهب (١٢٤ - ٢٢٠ هـ) أحد الأئمة المجتهدين ، والليث بن سعد (٩٤ - ١٧٥ هـ) فقيه مصر وإمامها ومحدثها ، ومن تلامذة الليث : إسحاق بن الفرات (٢٠٤ هـ) وإسحاق بن بكر (٢١٨ هـ) .

وحل الشافعي بالفسطاط ، فقاد حركة فقهية جديدة ، كان لها صداها العميق في العالم الإسلامي .

كان أهل مصر يعتمدون على فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص (٦٨ هـ) من الصحابة ، ويزيد بن أبي حبيب (- ١٢٨ هـ) من التابعين ، وأهل مكة يتبعون فتاوى عبد الله بن مسعود (- ٣٦ هـ) وتلاميذه من التابعين ، وأهل البصرة يعتمدون على فتاوى أبي موسى الأشعري وأنس بن مالك من الصحابة ، والحسن البصري . . .

وابن سيرين (١١٠ هـ) من التابعين . وأهل الشام يتبعون فتاوى معاذ بن جبل (- ٢٨ هـ) ، وعبادة بن الصامت (- ٣٤ هـ) من الصحابة ، وعمر بن عبد العزيز (١٠١ هـ) وأضرابه من التابعين .

وظهر أعلام من الفقهاء المرعنين ، الذين كانت لهم آراء ومذاهب في التشريع الإسلامي وفي مقدمتهم :

- سعيد بن المسيب بالمدينة (- ٩٤ هـ) .
- عروة بن الزبير بالمدينة (- ٩٤ هـ) .
- سفيان بن عيينة بمكة (- ١٩٨ هـ) .
- ابن أبي ذئب .
- ابن جريج (- ١٥٠ هـ) .
- عكرمة مولى ابن عباس (- ١٠٧ هـ) .
- الإمام الزهري (- ١٢٥ هـ) .
- ربيعة الرأي (- ١٣٦ هـ) .
- عبد الرحمن بن مهدي (- ١٣٥ هـ - ١٩٨ هـ) .
- إبراهيم النخعي بالكوفة (- ١٩٦ هـ) .
- حسن البصري بالبصرة (- ١١٠ هـ) .
- سفيان الثوري بالكوفة (- ١٦١ هـ) .
- الليث بن سعد بمصر (- ٩٣ هـ - ١٧٥ هـ) .
- الإمام الأوزاعي بالشام .

وتجمعت المذاهب التشريعية في تيارين أو مدرستين كبيرتين :
مدرسة أصحاب الحديث ومدرسة أصحاب الرأي .

في عام ١٩٥ هـ رحل الشافعي إلى بغداد ، رحلته الثانية ، في خلافة الأمين ، وصارت له حلقة علمية في دار السلام ، تتلمذ عليه فيها الكثيرون ممن أخذوا عنه ، وطرحوا مذهبهم إلى مذهب بقية أصحاب الرأي . وألف الشافعي في هذه الرحلة التي دامت عامين كتابه المشهور « الحجة » . الذي رواه عنه أربعة من البغداديين : الكرابيسي ، والزعفراني ، وأبو ثور ، والإمام أحمد بن حنبل .

ولما وفد على مصر أملى فيها ، في جامع القسطنطين ، على تلاميذه ، كتبه الجديدة ، التي يجمعها كتابه الخالد « الأم » الذي حمل مذهب الجديد ، وهو المذهب الذي وصل إليه باجتهاده في مصر .

وأساس مذهبه أن الأصل هو القرآن والسنة ، ثم القياس فالإجماع . يقول الكرابيسي (٢٠٤ هـ) : ما كنا ندرى ما الكتاب ولا السنة ولا الإجماع ، حتى سمعنا الشافعي يقول ذلك . والسنة الصحيحة عند الشافعي تلي القرآن الكريم ، وقد كان يقول : « إذا صح الحديث فهو مذهبي » .

وقد دافع دفاعاً قوياً عن العمل بخبر الواحد الصحيح ، مما نال عليه حظاً كبيراً عند أهل الحديث ، ولذا سماه أهل بغداد « ناصر السنة » . وقال محمد بن الحسن فيه : « إن تكلم أصحاب الحديث يوماً بلسان الشافعي » ، وقال الزعفراني : « كان أصحاب الحديث رقوداً حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا » .

وقد ترك الشافعي الاستحسان الذي قالت به الأحناف والمالكية ،

بل لقد أنكره ، ولم يقل بالقياس إلا إذا كانت علة منضبطة ، ورد
المصالح المرسله ، وأنكر الاحتجاج بعمل أهل المدينة ، وفتح باب
الاجتهاد على مصراعيه واسعاً . وهو بذلك يجمع بين فقه مدرسة أهل
الرأى وفقه مدرسة أصحاب الحديث .

وكتابه « الرسالة » تحمل أبوابه أصول دفاعه عن السنة وحديث
الواحد وشروط صحة الحديث والخبر المرسل ، ويقول تلميذه المزني
(١٧٥ - ٢٦٤ هـ) قرأت كتاب الرسالة للشافعي خمسمائة مرة ،
وما من مرة منها إلا واستفدت بفائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى .
وبالرسالة وضع الشافعي علماً كاملاً ، هو علم أصول الفقه ، وقد
عاصر الشافعي الإمام أحمد (١٦٤ - ٢٤١ هـ) الذي عرف بشدة
اعتماده على الرواية ولقد أذهلت « الرسالة » للشافعي الإمام أحمد وغيره
من جلة العلماء كابن مهدي الذي قال فيها بعد أن قرأها : لما نظرت
الرسالة للشافعي أذهلتني .

- ٥ -

وفي مصر الفسطاط دون كتب الإمام ابن إدريس الشافعي تلاميذه
المصريون المزني . البويطي ، يونس بن عبد الأعلى ، الربيع الجيزي ،
الربيع بن سليمان المرادي ، عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم .
(- ١٧٥ هـ) . . وفي مقدمتها : « الرسالة » و « الأم » . . وكان
الشافعي قد أملاهما على تلاميذه في حلقة بجامعة الفسطاط .

ولم يزل الشافعي مقيماً بالفسطاط ناشراً للعلم ، ملازماً للتدريس

بجامعة عمرو ، « أوجامعة الفسطاط » ، كما يقول السيوطى فى كتابه
حسن المحاضرة (١٢٢ : ١) « طبعة الشرفية » .

وفى جامع عمرو ، جامعة الفسطاط ، كان ابن إدريس الجليل
يجالس العلماء والأدباء والنقاد والشعراء ورجال البلاغة والبيان ،
ويجالس جماهير الناس ، مع مرضه المزمن الذى عذبه طويلا ، وهو داء
« البواسير » . وكان فى حلقة : عالم اللغة العميق الاطلاع على
كنوزها ، ورواية الشعر الجيد المختار ، ومؤرخ الأحداث الموهوب
الذكى .

وفى آخر عمره تزوج الشافعى أم ولده « دنانير » ، بعد وفاة زوجته
حميدة ، وأنجب من دنانير ابنه « أبا الحسن » عام ٢٠٢ هـ . وقد
خصص له مرضعة أندلسية اسمها « فوز » . وبذلك كان له ولدان :
أبو عثمان محمد وأبو الحسن ، وبنتان ، هما زينب وفاطمة . وهؤلاء
الذين مات عنهم هذا الإمام الجليل .

وفضلا عن الرسالة التى وضع بها علم أصول الفقه ، والتى كتبها
وأملأها على تلاميذه فى جامعة الفسطاط ، ألف فى الفسطاط كتاب
« أحكام القرآن » ، وكتاب « اختلاف الأحاديث » ، وكتاب « إبطال
الاستبسان » ، وكتاب « جماع العلم » وكتاب « القياس » وكتاب
« الرد على محمد بن الحسن » وكتاب « اختلاف مالك والشافعى »
وكتاب « اختلاف على وعبد الله بن مسعود » ، وكتاب « ما اختلف فيه
أبو حنيفة وابن أبى ليلى عن أبى يوسف » ، و« خلاف ابن عباس »
و« سير الأوزاعى » ، وكتاب « مسند الشافعى » . . أما كتابه
« الحجة » فقد ألفه فى بغداد . . وهكذا أفاد الشافعى الناس والمتعلمين
والمثقفين فوائد جلية ، وقد ظل يكتب ويقرأ ويدرس ، والمرضى

يحصره ، حتى سقط القلم من يده ، واستأثرت به رحمة الله تعالى ، يوم
الجمعة ، التاسع والعشرين من رجب عام ٢٠٤ هـ - ٨٢٠ م ، رحمه
الله تعالى .

والامام الشافعي مدفون بمصر ، وقد بنى عام ٦٠٨ هـ القبة
الكبيرة على قبره الملك الكامل الأيوبي . وأجرى السلطان قايتباي
إصلاحات بضريح الامام الشافعي عام ٨٨٥ هـ . وجدد قبة الامام
الشافعي على بك الكبير عام ١١٨٦ هـ . وبنت وزارة الأوقاف المسجد
عام ١٣٢٢ هـ

وقد رثى الإمام الشافعى عند وفاته محمد بن دريد فقال :

ألم تر آثار ابن إدريس بعده
معالم يفنى الدهر وهى خوالد
مناهج فيها للهدى متصرف
ظواهرها حكم ومستبطناتها
لرأى ابن إدريس ابن عم محمد
إذا المفظعات المشكلات تشابهت
أبى الله إلا رفعه وعلوه
توخى الهدى واستنقذته يد التقى
ولاذ بآثار الرسول فحكمه
وعول فى أحكامه وقضائه
تسريل بالتقوى وليداً وناشئاً
وهذب حتى لم تُشر بفضيلة
فمن يك عدو الشافعى إمامه
سلام على من نضم من جسمه
لئن فجعتنا أحداثاً بشخصه
فأحكامه فينا بدور زواهر

دلالتها فى المشكلات لوامع
وتنخفص الأعلام وهى فوارع
موارد فيها للرشاد شرائع
لما حكم التفريق فيه جوامع
ضياء إذا ما أظلم الخطب ساطع
سما منه نور فى دجَاهن لامع
وليس لما يُعليه ذو العرش واضع
من الزبيغ إن الزبيغ للمرء صارع
لحكم رسول الله فى الناس تابع
على ما قضى فى الوحي والحق ناصع
وخص بلب الكهل مذهب يافع
إذا التمسست إلا إليه الأصابع
فمرتعه فى ساحة العلم واسع
وجادت عليه المُدجنات الهوامع
لهن لما حكمن فيه جوامع
وأثاره فينا نجوم طوالع^(١)

(١) القصيدة أوردتها الخطيب البغدای فى تاریخ بغداد وصاحب وفيات لأعيان (ابن خلكان) ج - ٣ - ص - ٣٠٩ .

وكان للإمام الشافعي منزلة كبيرة في الشعر وروايته . بدأت صلته به منذ شبابه ومازال يجول فيه - حتى بعد أن انصرف إلى فقهه - وصار في مكنته أن يرتجل في المعنى الذي يريده بيتاً أو بيتين أو أبياتاً .

وقد جمع الشافعي في أول دراساته شعر الهذليين واختص به ، وشعرهم كان جاهلياً وإسلامياً فصيحاً تناولوا فيه الحماسة والفضائل والحكمة ، ولعل الشافعي أعجب بشعر هؤلاء لنشأته في قبائلهم ورضاه عن طباعهم ؛ ولأن هذيلاً - كما يقول الشافعي نفسه - : كانت أفصح العرب .

وروى الشافعي شعر الشنفرى ، وكان كثيراً ما يتمثل بأشعار الطفيل الغنوى كما أورد ابن أبي حاتم في كتابه « آداب الشافعي ومناقبه » .

ويقول الشافعي في حديثه عن مبدأ أمره : « خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها ، وكانت من أفصح العرب ، قال فبقيت فيهم سبع عشرة سنة ، أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم ، فلما رجعت إلى مكة أخذت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب » .

وحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير أنه خرج إلى اليمن فلقى محمد بن إدريس الشافعي وهو مستحضر في طلب الشعر والنحو والحديث .

واتصل الأصمعي بالشافعي يأخذ عنه شعر الشنفرى وشعر هذيل ويتعلم منه روايته وشرحه وفصيحه وغريبه ، روى أبو عثمان المازنى قان : سمعت الأصمعي يقول : قرأت شعر الشنفرى على الشافعي بمكة .

وحكى الحسين بن أحمد البيهقي الفقيه ببغداد قال : سمعت حسان بن محمد يحكى عن الأصمعي أنه قال : صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي ، قال : وحكى لنا عن مصعب الزبيري قال : كان أبى والشافعي يتناشدان ، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظاً .

ويقول الدكتور عبد الجبار الجومرد في كتابه « الأصمعي » عن المزهري للسيوطي : إنه درس ديوان الشاعر الجاهلي الشنفرى وشعر بنى هذيل في مكة على الإمام محمد بن إدريس صاحب المذهب الشافعي : ثم قال : والظاهر أنه درس ذلك في أواخر أيامه وهو مسن ، في حين كان أستاذه أصغر منه سنًا .

وحدث الصولي عن المبرد أنه قال : كان الشافعي من أشعر الناس وآدب الناس . وقال ابن رشيقي : أما محمد بن إدريس الشافعي فكان من أحسن الناس افتناناً في الشعر .

والشافعي في لغته كلها معجب فاتن ، قال ابن هشام ، جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إلا اعتبرها المعبر : لا يجد كلمة في العربية أحسن منها وقال ابن هشام : الشافعي كلامه لغة يحتج بها ، وقال : كانت لغته فتنه . وحدث عنه قال : كان قوم من أهل العربية

يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحية قال : فقلت لرجل من رؤسائهم : إنكم لا تتعاطون العلم (أى الفقه) فلم تختلفون معنا ؟ قالوا : نسمع لغة الشافعي .

ومع علو لغة الشافعي في كل أقواله فإن شعره سهل ممتنع ، ولعلك إذا قست قطعة من نثره بمقطعة من شعره بدا لك الفرق بين اللغتين ، فإنه في النثر يختار أجزل الألفاظ ، ويميل إلى الغريب والصعب .

أما ألفاظه في الشعر فلن تعثر فيها على غريب ولا صعب بل كان جل شعره سهلاً واضحاً .

وكان شعره كله مقطعات ، فلم ينظم قصائد طوالاً ، ولذا سهل الاقتباس منه والاستدلال به .

ويبدو أن ميله إلى المقطعات كان صادراً عن طبعه الذي اختار الإيجاز في كل ما يكتب حتى قال فيه يونس بن حبيب : كان لسانه أكبر من كتبه .

ولما كان الشافعي قد قصد في شعره إلى السهولة والوضوح وسلك في أكثره سبيل الارتجال فإنه لم يقل في كل القوافي ، بل غادر القوافي الصعبة فلم يسلكها ، واكتفى بالقول في الحروف الجيدة التي لا تقف أمام العذوبة والرقّة والسرعة والارتجال

جامعة الفسطاط الإسلامية التي تخرج منها أجيال من العلماء على يد الإمام الشافعي (١)

١ - دخلت مصر في الإسلام ، واستظلت بلوائه ، وحملت راية العروبة لأول مرة ، منذ فتحها القائد العربي المسلم عمرو بن العاص عام ٢٠ هـ / ٦٤٠ م . وبفضل عبقرية هذا القائد العظيم انتهى حكم الرومان لمصر ، هذا الحكم الاستعماري المدمر ، ومات هرقل الامبراطور الروماني وقد شاهد هزيمة جيشه ، وانحسار نفوذ امبراطوريته ، وضياع مستعمراتها ، ودانت مصر كلها بالطاعة للحكم الإسلامي ، مرحلة بانتهاء العصر الذي أورث بنيتها الفقر والهوان .

وبنى عمرو عقب الفتح مدينة الفسطاط لتكون العاصمة الإسلامية الأولى لمصر . وبدأ فبنى مسجده الجامع عام ٢١ هـ ، واتخذ الأماكن التي نزل بها جيشه معسكراً عاماً ، وبني حوله مدينة الفسطاط ، يتوسطها المسجد الجامع ، وأخذ يرفع الظلم

الفسطاط كان الرائد الأول في الكشف عن معالم الأثرى المصرى على بهجت (١٨٥٨ - الجمعة ٢٨ من مارس ١٩٢٤) ، فله وحده يعود الفضل الأكبر في التنقيب عن الفسطاط أول عاصمة إسلامية في مصر ، حيث كشف عن حى كبير من أحيائها ، وعثر على آثار كثيرة نادرة . . إلى أنه هو الذى اكتشف عقد زواج الجنرال مينو من السيدة زبيدة الرشيدى حيث عثر على صورته في محكمة رشيد الشرعية عام ١٨٩٨ ، وله كتاب عن الفسطاط صدر في باريس عام ١٩٢١ ، وقد رثاه أمير الشعراء أحمد شوقى . .

عن كاهل المصريين ، ويعاملهم بالعدل والإنصاف والرحمة ،
وأكبر المصريون شريعة عمرو ولغته ودينه ، فدخلوا في الإسلام
أفواجا .

ومحدثنا التاريخ أن عمرو بن العاص (٤٧ ق هـ - ٤٣ هـ)
بعث إلى الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة معاوية بن خديج ،
بشيراً بالفتح ، ففي المحرم من عام ٢٠ هـ ، فقدم المدينة وقت
الظهيرة ، فأناخ راحلته أمام المسجد النبوي ، ثم دخله ، فيها هو
جالس فيه ، إذ خرجت طفلة من منزل عمر بن الخطاب ، يقول
معاوية : فرأيتني شاحباً . وعلى ثياب السفر ، فأنتنى وقالت : من
أنت ؟ فقلت : أنا معاوية . سول عمرو بن العاص . .

فانصرفت الطفلة عني ، ثم أقبلت تعدو ، حتى لأسمع
حفيف إزارها على ساقها ، حتى دنت مني ، ثم قالت : قم
فأجب أمير المؤمنين . فتبعتها ، فلما دخلت المنزل إذا بعمر يتناول
رداءه بإحدى يديه ويشد إزاره باليد الأخرى ، فقال : ما عندك ؟

قلت : خير يا أمير المؤمنين ، فتح الله الإسكندرية . .

فخرج معي إلى المسجد ، وقال للمؤذن : أذن ، الصلاة
جامعة ، فاجتمع الناس ، ثم قال لي : قم فأخبر أصحابك ،
فقمتم فخطبت فيهم ، ثم صلى ودخل منزله ، واستقبل القبلة ،
فدعا بدعوات ، ثم جلس ، وطلب الطعام ، فقدم خبز وزيت ،
فقال : كل فإن المسافر يحب الطعام ، ولو كنت آكلا لأكلت
معك ، فأكلت على حياء ، ثم قال : ماذا قلت يا معاوية حين
أتيت المسجد ؟ قال ، قلت : أمير المؤمنين نائم ، قال : بش

ما ظننت ، لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى ، فكيف بالنوم مع هذين يامعاوية ؟ .

٢ - وكان عمرو بن العاص مع هذه الدنيا المقبلة ، والسعادة الغامرة ، والسلطة النافذة ، أسبق الناس إلى حق ، وأبعدهم عن باطل ، لم يعهد عليه أثناء ولايته على مصر نقض لعهد ، ولا خفر لذمة ، ولا انتهاك لحرمة . وقد نهض بإدارة شئون مصر إدارة حازمة رشيدة ، دستورها مبادئ الإسلام ، وشعارها الحق والعدل والمساواة والحرية .

وأخذت الفسطاط تتسع وتزدهر ، وصارت منذ إنشائها عام (٢١ هـ . ٦٤١ م) عاصمة مصر السياسية ، ومنارة الدين واللغة العربية والمعرفة والثقافة ومقر العمران والحضارة والرخاء أجيالا طوالا . .

وكان مسجد الفسطاط (أو مسجد عمرو بن العاص ، أو تاج الجوامع ، أو الجامع العتيق ، أو مسجد الراية) ، وهو أول مسجد قام في مصر العربية ، وكان هو بعد قليل جامعة الفسطاط الإسلامية الكبرى .

وكانت المساجد الكبرى في العواصم الإسلامية ، لا تلبث بعد إنشائها بقليل ، أن تتحول إلى جامعات تغص بالعلماء وحلقات العلم والدراسة والبحث وبالطلاب ، وفي المدينة ومسجدها النبوى قامت أول جامعة إسلامية ، ثم قامت في مكة وفي المسجد الحرام بعد ذلك جامعة أخرى ، وفي دمشق والفسطاط والبصرة

والكوفة ، قامت جامعات إسلامية مزدهرة .

وكذلك قامت في القيروان وقرطبة وفاس ، وغيرها من العواصم الحضارية الجديدة المنتشرة في شرق العالم الإسلامي وغربه جامعات جديدة تقيم صروحاً شامخة للثقافة والمعرفة والحضارة ، فرأينا بعد القرون الأولى جامعة الأزهر والقرويين والجامعة النظامية والمستنصرية في بغداد . .

٣- ولقد أشرف على بناء المسجد الجامع والفسطاط أربعة من الصحابة ، هم : أبوذر الغفاري ، ونهية بن صواب البصري ، ومحمشة بن حمزة ، وأبو بصرة .

ومع أن عبد العزيز بن مروان ، الحاكم الأموي على مصر ، بعد استردادها من أيدي الزبيريين « ٦٥ - ٨٦ هـ » ، قد بنى حلوان ، وانتقل من الفسطاط إليها ، ومع أن العباسيين أنشأوا مدينة العسكر عام ١٣٥ هـ شمال الفسطاط ، ومع إنشاء أحمد بن طولون لمدينة القطائع عام ٢٥٤ هـ فإن الفسطاط لم تتغير منزلتها السياسية والعلمية والأدبية ، ولم تهبط مكانتها بحال من الأحوال ، وحين دخل الفاطميون مصر نظروا إلى الفسطاط على أنها العاصمة السنية لمصر ، فأداروا لها ظهرهم ، وأنشأوا القاهرة المعزية لتكون العاصمة السياسية والروحية لهم ، ولتكون صورة لعقيدتهم الشيعية وخلافتهم العلوية .

محدثنا التاريخ أن المعز لما وصل مصر في أوائل رمضان عام ٣٦٢ هـ خرج أعيان الفسطاط وأشرافها وعلمائها لاستقباله في

الجيزة ، واستعدت الفسطاط لاستقباله ، وسار موكبه من الجيزة ،
ثم جاز النيل إلى الشاطيء الشرقى ، وأبى أن يدخل الفسطاط ،
وجعلها وراء ظهره ، وأمر موكبه بالاتجاه إلى عاصمته الجديدة التي
سميت « المنصورية » ، ثم صدر أمر المعز في ذلك الحين بأن
تسمى القاهرة المعزية : وقد جمع المعز أشرف الفسطاط من
العلويين ، وفي مقدمتهم أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسينى
وأبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسينى الرسى ، وأحد أبناء
الشريف أبى محمد بن طباطبا العلوى ، وسل أمامهم سيفه ،
وقال : هذا نسبى ، ثم نثر عليهم ذهباً كثيراً وقال : هذا
حسبى ..

٤ - ولقد ازدهر الفسطاط بتوالى الأيام ، وصارت العاصمة الحضارية
والعلمية والأدبية والاقتصادية لمصر كلها خلال أجيال عديدة ،
وصارت من أكثر الأمصار الإسلامية عمراناً ورخاءً وعظمة .

أقام عبد الله بن عمرو بن العاص داره فى الفسطاط على صورة
الكعبة الشريفة ، وكان عبد الله المتوفى عام ٦٨ هـ ، من جلة
العلماء والمحدثين ، وكانت دار الأمير الأموى عبد العزيز بن مروان
« وهو والد عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى العادل » فى
الفسطاط من ست طبقات أو أدوار ، وفيها خمسة مساجد وحمامان .

وقد جلس الصحابة والتابعون فى مسجد عمرو ، يتصدرون
الحلقات العلمية ، ومجالس العلم . وشجع ولاية مصر العلماء على
نشر الثقافة العربية فى كل مكان فى أرض مصر ، وأنشئت المساجد

وأصبحت حلقاتها دوراً للثقافة ، يتصدرها المحدثون والفقهاء والعلماء .

واستمرت الفسطاط تؤدي دورها الحضارى فى تاريخ مصر والعالم الإسلامى والإنسانية ، حتى ليصفها الاصطخري فى القرن الرابع الهجرى بأنها مدينة مصر العظمى ، وبأنها غاية العمران والخصب ، وبأن مبانيها قد تبلغ الواحدة منها ثمانى طبقات . . . وينوه كذلك ابن حوقل بأهميتها الحضارية ، ويقول عنها المقدسى : إن الفسطاط هى « عاصمة » مصر ، ومفخرة الإسلام ، ومتجر الأنام ، وهى أجل من مدينة السلام ، ويقول : إن حلقات مسجدها الجامع ليس فى عواصم الإسلام أكبر منها ، ومع أن الفسطاط دمرها حريق مروى فى عهد الحاكم الفاطمى ، ثم أحرقتها شاور الوزير الحاكم فى مصر عام ٥٦٤ هـ لئلا تقع فى أيدي الصليبيين ، وقد استمر هذا الحريق المدمر أربعة وخمسين يوماً ، مما جعل المدينة تفقد شيئاً فشيئاً الكثير من أهميتها الحضارية والفكرية - إلا أنها أخذت تضمّد جراحها ، وتستمر فى أداء دورها ، حتى نهاية القرن السابع الهجرى ، فلا نجد لها فى القرن الثامن صدئ أو ذكراً ، ومع أن اتخاذا الممالئك للروضه مقراً لهم ، قد أضفى على الفسطاط المقابلة للروضه شيئاً من الحياة ، إلا أن هذا لم يجعلها تقف على قدميها كما كانت من قبل .

لقد ترك الفاطميون الفسطاط لشأنها ، لكن صلاح الدين والأيوبيون أقبلوا عليها بكل عطف وتقدير ، ثم جاء الممالئك

فاهتموا بالروضة واكتفوا بها عن غيرها . إلا أن مواجهة الفسطاط للروضة جعل الحياة تتدفق في شرايينها شيئاً قليلاً ، حتى أصابتها الشيخوخة وحطمتها ، ولقد زارها ابن سعيد الأندلسي عام ٦٣٧ هـ وتحدث عن شهرتها وماضيها العظيم . .

٥ - لقد قام مسجد الفسطاط بدور الجامعة الإسلامية الأولى في مصر نحو سبعة قرون ، وعاشت هذه الجامعة العلمية الكبرى في ظلال ازدهار الفسطاط وعمرانها ورنحائها حتى إذا دمرت الفسطاط ، وضاعت مكانتها الحضارية والفكرية والأدبية وأصابها الشلل ، والشيخوخة - انتهى دور هذه الجامعة التي خدمت الإسلام والمسلمين أجيالاً طويلاً - بل خدمت العلم والإنسانية كافة طيلة سبعة قرون .

وكان قيام الحلقات العلمية والأدبية في جامع الفسطاط ، بعد إنشائه بقليل . رمزاً لحركة البناء والتجديد وطموح العقل المصري المتوثب دائماً .

واعتقد أن عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي الجليل وابن أمير مصر عمرو بن العاص ، كان هو المؤسس الأول لهذا الصرح الشامخ ، ولهذا الجامعة الإسلامية الأولى في مصر ، وكان عبد الله من أئمة الصحابة ، والمحدثين ، ولا بد أن يكون قد صارت له حلقة علمية في جامع الفسطاط ، يتصدرها ليفيد الناس في دينهم ودنياهم ، من حيث يرى الدكتور علي اليمنى دردير في رسالته المخطوطة للدكتوراه التي عنوانها « الحياة الأدبية والنقدية في الفسطاط ومسجدها الجامع » أن يزيد بن حبيب الذي يعث به عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي إلى الفسطاط هو مؤسس

مدرسة الفسطاط العلمية ، وهذه الرسالة القيمة جديرة بأن تتبنى هيئة من هيئاتنا العلمية نشرها لأهميتها .

وعبد الله بن عمرو بن العاص كان بمثابة الروح الباني للحلقات العلمية الجامعية في جامعة الفسطاط ، وقد أخذت هذه الحلقات تكبر وتنمو شيئاً فشيئاً ، وتتسع دائرتها . وتفيد العقل المصرى الإسلامى الجديد فائدة جلى ، ويكون يزيد بن حبيب تاليا لعبد الله بن عمرو بن العاص في ذلك المجال ، ويذكر الدكتور دردير نصاً للسيوطى في كتابه « حسن المحاضرة ١ / ١١٩ » هو أن يزيد بن حبيب كان « أول من أظهر العلم بمصر ، وبين المسائل فى الحرام والحلال وكان الناس قبله يتحدثون فى الترغيب والترهيب والملاحم والفتن » ، وكان الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز قد بعث به إلى مصر ، كما بعث كذلك بنافع مولى عبد الله بن عمر « المتوفى عام ١٢٠ هـ » ليعلم أهلها السنن والقراءات ، وقد صار لنافع مدرسة علمية فى القراءات فى جامعة الفسطاط وكان من أعلامها : مجاهد بن جبير أحد العلماء الثقات فى القراءات ثم عثمان بن سعيد « ورش » الذى يذكر ياقوت فى « معجم الأدباء » أنه كان له مجلس عامر .

ومن مدرسة الحديث عطاء بن دينار الهذلى « المتوفى عام ١٢٦ هـ » وهو بالطبع يعد امتداداً لفكر عبد الله بن عمرو بن العاص . ومن تلاميذ يزيد بن حبيب : ابن لهيعة « ٩٦ - ١٦٠ هـ » والليث بن سعد « ٩٤ - ١٧٥ (١) هـ » وعبد الله بن

(١) لما وقف الإمام الشافعى على قره قال . لله درك يا إمام لقد حزت أربع خصال لم يحزنن عالم العلم ، والعمل ، والزهد ، والكرم .

وهب « ١٢٤ - ٢٠٠ هـ » الذي تأثر بآراء أستاذه الليث بن سعد بطريق مباشر ، وبآراء ابن حبيب بطريق غير مباشر .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول عن « ابن لهيعة » : « اعنده الأصول وعندنا الفروع » ولا بن وهب كتاب « الجامع في الحديث » . . والليث بن سعد هو أحد المجتهدين الأعلام وصاحب مذهب من المذاهب المشهورة ، وكتاب تلميذه ابن وهب « الجامع في الحديث » أقدم كتاب مصرى مخطوط بدار الكتب المصرية ، وعليه ما يفيد أن الكتاب قرئ في مدينة إسنا عام ٢٧٦ هـ كما ورد في « حسن المحاضرة » للسيوطي « ١ / ١٦٧ » .

وهكذا ازدهرت حركة جامعة الفسطاط « جامع عمرو » العلمية ، وزادت فيها مجالس العلم ، وحلقات العلماء ، زيادة كبيرة ، وأم هذا المسجد الجامع أو الجامعي الكثير من العلماء الأعلام ، والأئمة المجتهدين ، ممن أفادوا العالم الإسلامي ، وأدوا له خدمات صادقة في مجال الثقافة والتعليم ، وفي مختلف علوم الشريعة والدين واللغة والأدب والعلوم الأخرى .

وقد قصد الكثير من الشعراء مصر ، ووفدوا إلى الفسطاط وجلسوا في حلقات جامعتها الإسلامية الكبرى : أبو تمام الطائي « ١٩٠ - ٢٣١ هـ » تعلم في هذه الحلقات ، وأبو نواس وفد على الخُصيب أمير مصر ، وجلس في حلقات المسجد الجامع وأفاد منها ، وفي رحاب هذه الجامعة لقي الكثير من الشعراء والأدباء والنقاد وحاورهم وحاوروه .

ومن قبل ذلك وفد على مصر وفسطاطها ومسجدها الجامع :

جميل ، وكثير ونصيب ، وأيمن بن خريم الأسدي ، وعبيد الله بن قيس الرقيات ، وكان الفرزدق قد عزم على زيارة مصر وواليتها عبد العزيز بن مروان ، لولا أن جاءه نعي الأمير ٨٦ هـ .

ولما وفد الإمام الشافعي إلى مصر عام ١٩٨ هـ وأملى فيها مذهبه الجديد ، وكان مسجد عمرو أوجامعة الفسطاط ، مركز نشاطه العلمي الديني ، حيث صارت له حلقة فيه ، وفي زاوية منه كان يدرس فيها مذهبه ، ويدون آراءه ، وعلى يديه تخرج كثير من العلماء الذين دونوا المذهب ، ونشروا علم أستاذهم ، كالربيع بن سليمان المرادي « ١٧٤ - ٢٧٠ هـ » ، والبويطي « ٢٣١ هـ » والربيع الجيزي الذي ينسب إليه جمع كتاب الأم وترتيبه بعد البويطي ، وسعيد بن عفير « ١٤٦ - ٢٢٦ هـ » ، والحسين بن عبد السلام المعروف بالجمل الأكبر « ١٧٠ - ٢٥٨ هـ » .

وكان عبد الله بن طاهر أمير مصر يجعل سعيد بن عفير ثالث عجائب مصر بعد الهرميين والنيل . .

ومن جامعة الفسطاط انتشر مذهب الشافعي على أيدي تلاميذه ، ومن قبل كانت السيادة للمذهب المالكي الذي كان أول من أعلنه في مصر ونشره فيها عثمان بن الحكم الجذامي ومن شيوخ المالكية فيها أصبح بن الفرغ ، كما كان محاولة لنشر المذهب الحنفي فيها على يدى القاضي إسماعيل بن سميع الكندي ، الذي ولاه العباسيون عام ١٦٤ هـ قضاء مصر ، فعمل على نشر مذهب أبي حنيفة فيها . أما الحنابلة فكانوا قليلين ، ومن علماء مسجد عمرو كذلك إسحاق بن الفرات تلميذ الليث بن سعد « توفي عام ٢٠٤ هـ » ، وقال عنه الشافعي : ما رأيت بمصر أعلم منه

باختلاف الناس ، وكذلك إسحاق بن بكر « - ٢١٨ هـ » وكان يجلس في حلقة الليث ويفتى بقوله ، والطحاوي وإليه انتهت رئاسة الأحناف في مصر « ٢٣٩ - ٣٢١ هـ » ، وبكار بن قتيبة من قضاة مصر الأحناف « ٢١٠ - ٢٧٠ هـ » .

وقامت في جامع عمرو حلقة تاريخية تصدرها محمد بن إسحاق صاحب السيرة « - ١٥١ هـ » ، ثم عبد الملك بن هشام راويته ، ومحمد بن أبي الليث ، كما وفد عليها ابن جرير الطبري ، وكذلك المسعودي ، وتصدر هذه الحلقة المؤرخون المصريون ، مثل ابن عبد الحكم المصري مؤلف كتاب « فتوح مصر » « ١٦٥ - ٢٥٦ هـ » ، ووالده عبد الله بن الحكم « ١٥٥ - ٢١٤ هـ » ، والكندي ، وابن يونس « ٢٧١ - ٣٤٧ هـ » ، وعمار بن وسيدة المصري « - ٢٧٩ هـ » ، وابن الداية صاحب كتاب « المكافأة » ، وابن زولاق المصري « ٣٠٦ - ٣٨٧ هـ » الذي ولد بالفسطاط .

وكان للمعتزلة كذلك حلقة في مسجد عمرو وزعيمها ابن صبيح ، ومنهم أبو عمران موسى بن رباح الفارسي المتكلم ، وسيبويه المصري « ٢٧٤ - ٣٥٨ هـ » ، وأبو علي بن محمد العاصي الواسطي الذي كان من زعماء المتكلمين المعتزلين في مصر .

ومن مدرسة اللغويين النحويين الأدباء في جامعة الفسطاط : ابن ولاد « - ٢٣٢ هـ » شيخ العربية في مصر كما يقول السيوطي في كتابه « حسن المحاضرة » « ١ / ٢٢٨ » ، وأحمد بن يوسف بن

الداية صاحب كتاب « المكافأة » وقد توفي بعد عام ٣٣٠ هـ ،
والحسن بن دواد بن بابشاذ المصرى النحوى المشهور
« - ٢٣٩ هـ » ، وأبو جعفر النحاس « - ٣٣٨ هـ » ، والادفوى
النحوى المفسر « - ٣٨٨ هـ » . . . ويروى ياقوت فى كتابه « معجم
الأدباء » أن الطلاب المصريين فى جامع عمرو سألوا ابن جرير
الطبرى « - ٣١٠ هـ » أن يملى عليهم شعر الطرماح ، وكانوا
لا يعرفون شيئاً منه ، وكان ممن سأله فى ذلك على بن سراج
المصرى ، فأجابهم إلى طلبهم ، وأخذ يمليه عليهم ويفسر غريبه
« ٦ / ٤٣٣ معجم الأدباء » .

ومن العلماء الأجلاء أبوبكر بن الحداد « ٢٦٥ - ٣٣٥ هـ »
وكان - كما يقول السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة » « ١ /
١٢٦ » يلقب بفقيه مصر وفصيحتها وعابدها ، وكان يدرس فى
جامع عمرو . . .

وقد وفد على مصر أبو العباس الناشئ الأكبر « - ٢٩٣ هـ »
وألقى آراءه فى الشعر والنقد فى مسجد عمرو .

وقد تصدر حلقات العلم فى هذه الجامعة الكبيرة بعض
الوزراء ، من مثل أحمد بن يحيى الوزير ابن سليمان التجيبى
« ١٧١ - ٢٥٠ هـ » ، وكان له مجلس عام بجامع عمرو ، وقد
صحب الشافعى حين وفد إلى مصر ولازم حلقاته العلمية فى هذه
الجامعة « جامعة الفسطاط » ، ولازمه ، وأخذ الكثير منه ، كما
يقول السيوطى فى كتابه « بغية الوعاة » - ص ١٧٤ ، متخذاً فى
ذلك سنن أستاذه الخالد ، الإمام الشافعى الذى كان يجلس فى

جامع عمرو ويلقى فيه دروسه العلمية الحافلة حتى استأثرت به
رحمة الله ، وكان أعرابي يتردد على حلقة الشافعي في مسجد
عمرو ، فجاء بعد موت الشافعي ، فلم يجد قمر هذه الحلقة ،
فقال: للطلاب الذين يجلسون فيها : أين قمر هذه الحلقة
وشمسها ؟ فقالوا : توفى إلى رحمة الله ، فامتألت عيناه بالدموع ،
وقال : رحمه الله وغفر له ، لقد كان يفتح ببيانه منغلق الحجة ،
ويوسع بالرأى أبواباً مسدودة .

وكما كان أبو نواس من قبل « ١٤٥ - ١٩٨ هـ » يجلس في حلقة
خاصة في جامعة الفسطاط ، ويتخذ له مجلساً أدبياً في المسجد
الجامع ، ويلتف حوله الشعراء والأدباء والنقاد ، أثناء إقامته في
مصر ، كان يفعل أبو الطيب المتنبي أثناء إقامته في الفسطاط
« ٣٤٦ - ٣٥٠ هـ » ، يجلس في حلقة خاصة في جامعة الفسطاط
وحوله الشعراء والنقاد والأدباء يملئ وينشد شعره لهم ويستمع ،
لنقدهم ، ويحاججهم ويحاجونه ، وكان ممن أخذوا ينقدون شعره :
الوزير ابن حنزابة وزير كافور الإخشيدي « - ٣٥٧ » لأن المتنبي
أبى أن يمدحه ، وكذلك سيبويه المصري أبو بكر بن موسى
الصيرفي ، وسواهما .

وكان هناك في حلقة مسجد الفسطاط لفيف من الشعراء يبدون
إعجابهم الشديد بالمتنبي وشاعريته ، ومنهم : عبد الله بن محمد
ابن أبي الجوع ، وصالح بن رشدين الكاتب ، وابن طباطبا
العلوي المصري وسواهم .

وهكذا تعددت الحلقات وتنوعت في جامعة الفسطاط وتصدرها

كبار العلماء والأدباء والمفكرين والنقاد ، وخرجت هذه الحلقات أجيالا عظيمة من الباحثين والمتخصصين عاماً بعد عام ، مما أمد مصر بهالة من الجلال ، وجعلها تتصدر أمم العالم الإسلامي في حمل رسالة الدين والثقافة والحضارة ، حتى لقد سبقت بغداد في هذا المضمار .

٦ - استمرت جامعة الفسطاط تؤدي دورها الحضارى في بناء الإنسان المصرى العربى المسلم طيلة أيام الولاة الأمويين والعباسيين ، وبفضل هذه الجامعة أصدر أمير مصر الأموى عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمراً رسمياً عام ٨٧ هـ بأن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية للدولة .

وازدهرت الحلقات العلمية في هذه الجامعة في عهد الطولونيين (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ) ، والإخشيديين (٣٢١ - ٣٥٧ هـ) .

وانتقلت الدولة إلى الفاطميين من عام ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م واستمر الحكم فى أيديهم قرنين كاملين أوزيريد ، حتى عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م .

وشيد الفاطميون الأزهر ، وافتتح فى رمضان عام ٣٦١ هـ ، ولم يلبث أن أقيمت الحلقات العلمية فيه ، وصار جامعة إسلامية ثانية فى مصر ، ثم أقام الحاكم الفاطمى دار الحكمة أودار العلم الشهيرة ، عام ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م ، التى نافست الأزهر أيضاً فى رسالته العلمية الجامعة ، ومع ذلك كله فقد كانت مكانة الفسطاط وجامعة الفسطاط قوية ضخمة ، لم تتأثر بالعواصف

السياسية الهوج ، فاستمرت جامعة الفسطاط في مسارها العلمي ، فالحلقات العلمية والعلماء والطلاب ، ظلت كما هي ، وظل التدريس في مسجد عمرو طويلاً .

وكما كان ابن حنبل يقول لطلابه في بغداد : « إن بمصر - أي الفسطاط - صحيفة في التفسير رواها علي بن طلحة الهاشمي عن ابن عباس ، لورحل رجل منكم ليطلع عليها ما كان هذا كثيراً ، كان الشريف الرضي (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ) في بغداد يقول :

ما مقامى على الهوان وعندى مقول صار وأنف حمى
أحمل الضميم فى بلاد الأعادى وبمصر الخليفة العلوى ؟

وكان الشعراء فى العالم الإسلامى يهتفون لمصر وحلقاتها العلمية ، وجامعاتها الفسطاط ، والأزهر ، ودار العلم ، وهم يقولون :
أسكان مصر جاور النيل أرضكم
فأكسبكم تلك الحلاوة فى الشعر

وظل مسجد الفسطاط الجامعى منتدى لأهل الفضل والأدب ، وحمل لواء الثقافة الإسلامى العربية خافقاً عالياً ، كما كانت الفسطاط مدينة حضارية ذات منزلة علمية وفكرية وأدبية واقتصادية رفيعة .

وإذا كان الجامع الأزهر قد أخذ ينافس المسجد الجامع الجامعى فى الفسطاط فى حلقاته العلمية ومجالسه الأدبية ، كما أخذت دار الحكمة تنافسها معاً ، حيث صارت مثوى للمجالس العلمية

الكلامية والفلسفية ، فإن الفسطاط وقد فقد رعاية الدولة لم تضعف قوته ، ولم تلن قناته ، واحتفظت جامعة الفسطاط بأهميتها وبطابعها الديني والأدبي معاً ، وفي فترات ضعف الخلافة الفاطمية كانت الفسطاط وحلقاتها العلمية تتفوق على جامعات القاهرة ، مما تحدث عنه الكثير ممن زاروا مصر من العلماء والرحالة المسلمين ، من مثل أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت « ٥٢٩ هـ » الذي وفد على مصر ودرس الحركة الأدبية والفكرية فيها ، وكتب عنها رسالة بقي منها صفحات قليلة هي التي وصلتنا ، تحدث فيها ابن أبي الصلت عن بعض أدباء مصر وعلمائها ومجالسهم الفكرية والأدبية . وكانت الفسطاط آنذاك أيضاً من أغنى الأمصار الإسلامية ، وأكثرها رخاء . . وقد وصفها القاضي محمد بن سلامة القضاعي (٤٥٤ هـ) في القرن الخامس فقال : إن فيها من المساجد ستة وثلاثين ألف مسجد ، ومن الحمامات ألفاً وثلاثة وسبعين حماماً ، ومن الشوارع المسلوكة ثمانية آلاف شارع ، وأسواقها عامرة ، وهي عامرة بالمنازل الشاهقة وفيها دار عبد العزيز بن مروان ، وفي داخل هذه الدار خمسة مساجد ، وحمامان ، أما بضاعة العلم في الفسطاط فكانت أغلى البضائع وأنفسها .

وفضلاً عن الأسواق التي كانت للكتب فقد كانت صناعة النسخ واسعة النطاق يعيش منها آلاف من المشتغلين بالعلم ، وحلقات العلم تعقد في المساجد ، وكان جامع عمرو الذي يسمى تاج الجوامع مكان التحديث والتدريس من عهد الصحابة إلى زمن الأئمة ، وفيه كانت حلقات الإمام محمد بن إدريس الشافعي .

واستمرت هذه الحلقات العلمية كل يوم بلا انقطاع في جامع عمرو ، وكانت لا تقل عن بضع وأربعين حلقة في عام ٧٤٩ هـ ، كما يقول السيوطي في « حسن المحاضرة » (٢ / ١٣٦) .

وأحرقت الفسطاط في عهد الحاكم ثم في عهد شاور عام ٥٦٤ هـ ، وفي الحريق الثاني محيت هذه المدينة الإسلامية بما فيها من ذكريات ومكتبات ومدارس ومعاهد علمية ، ومع ذلك أخذ الناس يعمرون الفسطاط في عهد صلاح الدين الأيوبي والدولة الأيوبية ، ويسكنونها ، ويقيمون فيها ، وينظمون الحلقات العلمية والأدبية من جديد في مسجدها الجامع .

وفي القرن السابع وفد ابن سعيد الأندلسي إلى الفسطاط عام ٦٣٧ هـ ، ووصفها في كتاب (المغرب في حلى المغرب) الذي أفرد منه فصلاً كبيراً عن الفسطاط بعنوان « الاغتباط في حلى الفسطاط » وقد نشر في مصر يحدث فيه عن المدينة وأدبائها ، وشاعرها أبي الحسن الجزار (- ٦٧٩ هـ) وكانت الفسطاط قد استردت الكثير من بهائها السالف ، وأهميتها الاجتماعية القديمة بسبب قيام المدينة الجديدة التي أنشأها الملك الصالح في جزيرة الروضة المقابلة للفسطاط سنة ٦٣٨ هـ ، واتخذها عاصمة له ، فسكن كثير من الأمراء والكبراء بالفسطاط في الضفة المقابلة للروضة . وظل مسجد عمرو وبرغم عفاؤه وقدمه ونسيان أمره عامراً بحلقات العلم والدرس ، وإن كان لم يعد إلى شموخه القديم .

ولم يتخل المسجد الجامع - جامعة الفسطاط - عن دوره الحضاري والفكري والأدبي حتى نهايات القرن السابع الهجري . ثم سكت الصوت ، وخفت الضوء وحمل الأزهر وحده عبء

الثقافة الإسلامية في مصر العربية ، وهكذا انتهى دور جامعة
الفسطاط الإسلامية .

٧ - إنها لرحلة شاقة . لا يستطيع فرد أن يعيش معها وحده ، وهي
محتاجة إلى جهد طويل للكشف عن طبيعة المهمة العلمية ومناهج
الدراسة التي اضطلعت بها جامعة الفسطاط نحو سبعة قرون
كاملة . وللكشف عن العلماء الذين تصدروا حلقاتها عاماً بعد
عام .

ياليت هذا المسجد الجامع العتيق ، يأخذ دوراً حضارياً جديداً
في ظلال الثورة العلمية التي ننشدها . . ويعود من جديد جامعة
إسلامية كبرى في مصر بجوار الأزهر الشريف ، وما ذلك على الله
بعزيز .

شعر الديوان

قافية الهمزة

عمر الإنسان

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

لا سرور يعدل صحبة الإخوان ، ولا غم يعدل فراقهم . والغريب من فقد
إلفه ، لا من فقد منزله .

وَاحْسِرَةٌ لِّلْفَتَى سَاعَةٌ يَعْيشُهَا بَعْدَ أَوْدَائِهِ
عُشْرُ الْفَتَى لَوْ كَانَ فِي كَفِّهِ رَمَى بِهِ بَعْدَ أَحْبَابِهِ^(١)

(١) المعنى أن الساعة التي يعيشها المرء بعد أهل وده وأصحابه تشق عليه وتصيبه بالحسرات والفتى الحر لو كان يملك عمره ويصرفه كما يشاء رمى به وأفتقده بعد افتقاد أحبائه .

أوداء : جمع وديد بمعنى صاحب وكذلك أحبائه جمع حبيب .

دع الأيام تفعل ما تشاء (١)

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطِبُّ (٢) نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ
وَلَا تَجْزَعُ (٣) لِحَادِثَةِ (٤) اللَّيَالِي فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ
وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ (٥) جَلْدًا (٦) وَشِيمَتِكَ (٧) السَّمَاحَةَ وَالْوَفَاءُ
وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي الْبَرَايَا (٨) وَسِرِّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ
تَسْتُرُ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ يُغَطِّيهِ - كَمَا قِيلَ - السَّخَاءُ (٩)
وَلَا تُرْ لِلْأَعَادِي (١٠) قَطُّ ذُلًّا فَإِنَّ شِمَاتَةَ الْأَعْدَا (١١) بَلَاءُ

(١) جواهر الأدب ج ٢ ص ٢٤٦ للهاشمي .

(٢) طب : من طاب يطيب طيباً . لذ وحلا وحسن وجاد . وطابت النفس بكذا ، انشرفت .

(٣) الجزع : ضد الصبر وبابه طرب ، ويقال جزع من الشيء وأجزعه غيره .

(٤) حادثة الليالي : مصائبها : ومنه احداث الدهر : مصائبه ، وحوداث الدهر نوابه .

(٥) الأهوال : جمع هول ، من هال يهول هولاً ، ومنه هال الأمر فلاناً أفزعه . والأهوال هنا المخاوف .

(٦) جلدًا : شديدًا ، قوياً . من جلد .

(٧) شيمتك : خلقك . والشيمة : الخلق .

(٨) البرايا : المخلوقات . ومفردتها برية والأصل بهمزة والفعل برا .

(٩) السخاء : الجود . والسخي ، الجواد .

(١٠) الأعادي : جمع مفردها عدو وتجمع على أعداء . والفعل عادي والعدو هو ضد الصديق .

(١١) الأعدا : الأصل الأعداء وحذفت الهمزة لضرورة الشعر .

وَلَا تَرْجُ^(١) السَّمَاحَةَ^(٢) مِنْ بَخِيلٍ
وَرِزْقِكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّانِي
وَلَا حُزْنٌ يَدُومٌ وَلَا سُرُورٌ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ
وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَابِيا
وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَلَنْ يَكُنَّ
دَعِ الْأَيَّامَ تَغْدِرُ^(٦) كُلَّ حِينٍ

فَمَا فِي النَّارِ لِلظُّمَأَنِ مَاءٌ
وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ^(٣)
وَلَا بُؤْسٌ^(٤) عَلَيْكَ وَلَا رِخَاءٌ
فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءٌ
فَلَا أَرْضٌ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءٌ
إِذَا نَزَلَ^(٥) الْقَضَا ضَاقَ الْقَضَاءُ
فَمَا يُغْنِي عَنِ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ

(١) ترج . تأمل . وأصل الفعل ترجو وأصل ترجو رجأ ، أى أمل قلبت الهمزة واوا .

(٢) السماحة : الجود والعطاء ، والصفح والفضل ، وهى من سمح سباحاً وسماحة أى جاد ، وسمع له أعطاه .

(٣) العناء : التعب والنصب والفعل عنى والمصدر عناء .

(٤) البؤس : الحاجة والفقر والبأس العذاب . وتقول : بؤس وبأس وبس الرجل بالكسر بؤساً وبئساً اشتدت حاجته .

(٥) وفى رواية إذا حم القضا .

(٦) الغدر : ترك الوفاء وهو على وزن فعل بفتح العين ومضارعه يفعل .

لا تهزأ بالدعاء

أَتَهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ (١) وَمَا تَذَرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ لَهَا أَمَدٌ (٢) وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ

حب النساء

أَكْثَرَ النَّاسِ فِي النِّسَاءِ وَقَالُوا إِنَّ حُبَّ النِّسَاءِ جُهْدٌ (٣) الْبَلَاءِ
لَيْسَ حُبُّ النِّسَاءِ جُهْدًا وَلَكِنْ قُرْبٌ مَنْ لَا تُحِبُّ جُهْدُ الْبَلَاءِ

(١) تزدرية : تحقره وتستهين به وهو من زرى عليه فعله ، عابه والمصدر زراية .

(٢) الأمد : الغاية ومنتهى الشيء والجمع أماد .

(٣) بالفتح والضم الطاقة والجهد بالفتح المشقة . جهد : بالفتح . الرجل بكذا جد فيه وبالغ وبابها قطع .

قافية الباء خالف هواك

وقال الشافعي رضي الله عنه^(١) :

إذا حار أمرُك في معنيتين ولم تدرِ حيثُ الخطأ والصوابُ
فخالف هواك فإن الهوى يقود النفوسَ إلى ما يعابُ

حق الأديب^(٢)

أصبحتُ مطرِحاً في معشرٍ جهلوا
حقَّ الأديبِ فباعوا الرُّأسَ بالذَّنْبِ
والنَّاسُ يَجْمَعُهُمْ شَمْلٌ ، وَبَيْنَهُمْ
في العِقلِ فَرْقٌ وفي الآدابِ وَالْحَسَبِ
كَمَثَلِ مَا الذَّهَبِ الإِبْرِيذِ يَشْرِكُهُ
في لَوْنِهِ الصُّفْرُ ، وَالتَّفْضِيلُ لِلذَّهَبِ
وَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَطْبُ مِنْهُ رَوَائِحُهُ
لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطْبِ

(١) عن مكاشفة القلوب وهو مختصر « مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب » .

(٢) معجم الأديباء لياقوت الحموي ج ١٧ ص ٣١٩ .

هكذا الحظ

تَمُوتُ الْأَسَدُ^(١) فِي الْغَابَاتِ جُوعاً وَلَحْمُ الضَّانِ^(٢) تَأْكُلُهُ الْكِلَابُ
وَعَبْدٌ قَدْ يَنَامُ عَلَى حَرِيرٍ وَذُو نَسَبٍ مَفَارِشُهُ التُّرَابُ

الشيبي نذير الفناء

حَتَّى^(٣) نَارَ نَفْسِي بِاشْتِعَالِ مَفَارِقِي^(٤)
وَأَظْلَمَ لَيْلِي إِذْ أَضَاءَ شَهَابُهَا
أَيَا بَوْمَةً^(٥) قَدْ عَشَّشْتُ فَوْقَ هَامَتِي^(٦)
عَلَى الرَّغْمِ مَنِّي حِينَ طَارَ غُرَابُهَا
رَأَيْتِ خَرَابَ الْعُمُرِ مَنِّي فَزَرَّتْنِي
وَمَأْوَاكَ مِنْ كُلِّ الدِّيَارِ خَرَابُهَا
النَّعْمُ عَيْشاً بَعْدَ مَا حَلَّ عَارِضِي^(٧)
طَلَائِعُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغْنِي خِضَابُهَا^(٨)
وَعِزَّةُ عُمُرِ الْمَرْءِ قَبْلَ مَشِيهِ

(١) الأسد جمع منردها أسد

(٢) الضأن الغنم ، والفعل ضأن والمصدر ضأنا

(٣) حبت النار طفئت

(٤) المفرق وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه

(٥) البومة والبوم طائر ، كلاهما للذكر والأنثى

(٦) الهامة : الراس والجمع هام وهامة القوم رئيسهم .

(٧) العارض : صفحة خد الإنسان ومنه المثل رجل خفيف العارضين أي خفيف شعر عارضيه .

(٨) الخضاب مايلون به الشعر من حناء ونحوها

إِذَا اصْتَمَرَ لَوْنُ الْمَرْءِ وَابْيَضَ شَعْرُهُ
فَدَعُ عَنْكَ سَوَاءَاتِ^(٢) الْأُمُورِ فَإِنَّهَا
وَأَدَّ زَكَاةَ الْجَاهِ^(٣) وَأَعْلَمَ بِأَنَّهَا
وَأَحْسِنُ إِلَى الْأَحْرَارِ تَمْلِكُ رِقَابَهُمْ
وَلَا تَمْشِيَنَّ فِي مَنْكِبِ^(٥) الْأَرْضِ فَأَخِرًا

تَنْغَصِرَ^(١) مِنْ أَيَّامِهِ مُسْتَطَابُهَا
حَرَامٌ عَلَى نَفْسِ التَّقِيِّ ارْتِكَابُهَا
كَمِثْلِ زَكَاةِ الْمَالِ تَمَّ نِصَابُهَا^(٤)
فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الْكِرَاءِ اكْتِسَابُهَا

فَعَمَّا قَلِيلٍ يَحْتَوِبُكَ تُرَابُهَا
وَسِيقَ الْيَنَاءِ عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا
كَمَا لَاحَ^(٦) فِي ظَهْرِ الْفَلَاةِ^(٧) سَرَابُهَا^(٨)
عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِدَابُهَا
وَإِنْ تَجْتَنِبُهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا
مُغْلَقَةَ الْأَبْوَابِ مُرَخِّي حِجَابُهَا

وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعَمْتُهَا
فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا
وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ
فَإِنْ تَجْتَنِبُهَا كُنْتَ سَلْمًا لِأَهْلِهَا
فَطُوبَى لِنَفْسٍ أُوْلِعَتْ قَعْرَ دَارِهَا

(١) تنغصِر . تكدر وساء .

(٢) سوءات الأمور . قبيحها وساقطها .

(٣) الجاه . القدر والمنزلة .

(٤) النصاب : المقدار الذي تجب فيه الزكاة .

(٥) منكب الأرض . الطريق والجمع مناكب .

(٦) لاح : لاح يلوح لوحاً بدا وظهر .

(٧) الفلاة : الصحراء الواسعة والجمع فلا وفلوات .

(٨) السراب : الذي تراه نصف النهار وكأنه ماء في الصحراء

الحلم سيد الأخلاق

إِذَا سَبَّيْنِي نَذَلُّ تَزَايَدَتْ رِفْعَةً
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي عَلَيَّ عَزِيزَةً
وَلَوْ أَنَّنِي أَسْعَى لِنَفْعِي وَجَدْتَنِي
وَلَكِنِّي أَسْعَى لِأَنْفَعِ صَاحِبِي
وَمَا الْعَيْبُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُسَابِئُهُ
لَمَكَّتْهَا مِنْ كُلِّ نَذَلٍ تُحَارِبُهُ
كَثِيرَ التَّوَانِي لِلذِّي أَنَا طَالِبُهُ
وَعَارٌ عَلَيَّ الشُّبْعَانِ إِنْ جَاعَ صَاحِبُهُ

* * *

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ
يَزِيدُ سَفَاهَةً فَازِيدُ حِلْمًا
فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا
كَعُودِ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِيْبًا

* * *

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ
فَإِنْ كَلَّمْتَهُ فَرَجَّتْ عَنْهُ
فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ
وَإِنْ خَلَّتْهُ كَمَدًا يَمُوتُ

غنى بلامال

بَلَوْتُ^(١) بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ أَرْ فِيهِمْ
سِوَى مَنْ غَدَا وَالْبِخْلُ مِلءُ إِهَابِهِ^(٢)

فَجَرَّدْتُ مِنْ غَمْدِ القَنَاعَةِ صَارِمًا
قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْهُمْ بِذُبَابِهِ^(٣)

(١) بلوت . اختبرت وجربت .

(٢) الإهاب : على وزن كتاب الجلد أو مالم يدبغ .

(٣) الصارم : السيف القاطع ، ذباب السيف : حده وأطرافه .

وَلَا ذَا يِرَانِي قَاعِدًا عِنْدَ بَابِهِ
 وَلَيْسَ الْغَنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ (١)
 وَلَجَّ عُتْوًا (٢) فِي قَبِيحِ اكْتِسَابِهِ
 سَتَدْعِي لَهُ مَالَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ
 يَرَى النُّجْمَ تَيْهًا (٣) تَحْتَ ظِلِّ رِكَابِهِ
 أَنَاخَتْ (٤) صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ بِيَابِهِ
 وَلَا حَسَنَاتٌ تَلْتَقِي فِي كِتَابِهِ
 وَصَبَّ عَلَيْهِ اللَّهُ سَوْطًا (٥) عَذَابِهِ

فَلَا ذَا يِرَانِي وَاقِفًا فِي طَرِيقِهِ
 غَنِيٌّ بِلَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 إِذَا مَا ظَالِمٌ اسْتَحْسَنَ الظُّلْمَ مَذْهَبًا
 فَكَلَهُ إِلَى صَرْفِ (٣) اللَّيَالِي فَإِنَّهَا
 فَكَمَ قَدْ رَأَيْنَا ظَالِمًا مُتَمَرِّدًا
 فَعَمَّا قَلِيلٍ وَهُوَ فِي غَفْلَاتِهِ
 فَأَصْبَحَ لَأَمْوَالٍ وَلَا جَاهُ يُرْتَجَى
 وَجُوزِي بِالْأَمْرِ الَّذِي كَانَ فَاعِلًا

سوء الإنصاف

وحدث ياقوت الحموي بإسناد رفعه إلى ابن عمر الشافعي قال : كان لأبي
 عبد الله الشافعي امرأة تزوجها من قریش بمكة وكان يمازحها ويقول :

وَمِنْ الْبَلِيَّةِ أَنْ تُحِبَّ بَّ وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ
 وَيَصُدُّ عَنْكَ بِوَجْهِهِ وَتُلْحُ (٧) أَنْتَ فَلَا تُغِيبُهُ (٨)

(١) به : الهاء في به راجعة إلى الشيء .

(٢) العتو : الاستكبار والتجبر وقيل العاتى هو المبالغ في ركوب المعاصى ، المتمرد

(٣) صرف الليالى : حدثانها ونوائبها ومصائبها .

(٤) تيهها : من تاه يتيه تيهها : تكبرا وتجبرا .

(٥) أناخت : حلت وجلست . والأصل . ناخ الناقة أبركها وأجلسها .

(٦) سوط عذاب : أشد العذاب .

(٧) وفي رواية أخرى : تلج .

(٨) أغب الزائر : جعل زيارته كل أسبوع ، وأغبت الحمى وغبت : جاءت يوماً وتركت يوماً .

نبوءة الكواكب الكاذبة

خَبْرًا عَنِّي الْمُنَجِّمِ أَنِّي كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَتْهُ الْكَوَاكِبُ
عَالِمًا أَنْ مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ قَضَاءً مِنَ الْمُهَيِّمِينَ وَاجِبُ

أنت حسبي

أَنْتَ حَسْبِي وَفِيكَ لِلْقَلْبِ حَسْبُ وَلِحَسْبِي إِنْ صَحَّ لِي فِيكَ حَسْبُ
لَا أَبَالِي مَتَى وَدَاذُكَ لِي صَحَّ مِنْ الدَّهْرِ مَا تَعَرَّضَ خَطْبُ

الغرُّ طفلٌ صغيرٌ

أَرَى الْغُرَّ فِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَ فَاضِلًا تَرَقَّى عَلَى رُوسِ الرِّجَالِ وَيَخْطُبُ
وَإِنْ كَانَ مِثْلِي لَا فَضِيلَةَ عِنْدَهُ يُقَاسُ بِطِفْلِ فِي الشُّوَارِعِ يَلْعَبُ

دع الأوطان واغترب

مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبٍ مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاعْتَزِبِ
سَافِرٌ تَجِدُ عِوَضًا عَمَّنْ تَفَارِقُهُ
وَأَنْصَبُ^(١) فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ

(١) انصب : فعل أمر من نصب نصباً : جد في الأمر واجتهد فيه .

إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ إِن سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطْبِ
وَالْأَسَدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْأَرْضِ مَا أَفْتَرَسَتْ

وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ
وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً
وَالتَّبْرُ (١) كَالتُّرْبِ مُلْقَى فِي أَمَاكِنِهِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ
وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ
لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ
وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
وَإِنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كَالذَّهَبِ

سَأَضْرِبُ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرَضِهَا

سَأَضْرِبُ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرَضِهَا
فَإِنْ تَلَفْتُ نَفْسِي فَلِلَّهِ ذَرْهَا
أَنَالَ مُرَادِي أَوْ أُمُوتُ غَرِيبَا
وَإِنْ سَلِمْتُ كَانَ الرَّجُوعُ قَرِيبَا

خَلْقُ الرَّجَالِ (٢)

وَمَنْ هَابَ الرَّجَالَ تَهَيَّبُوهُ
وَمَنْ قَضَتِ الرَّجَالَ لَهُ حُقُوقًا
وَمَنْ حَقَرَ الرَّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا
وَمَنْ يَعْصِرِ الرَّجَالَ فَمَا أَصَابَا

(١) التبر الذهب

(٢) حلية الأولياء ج ٩ ص ٨٢ للأصفهاني

قافية التاء

أخلاق المسلم

أرحتُ نفسي من همِّ العداواتِ
لأدفعَ الشرَّ عنِّي بالتَّحيَّاتِ
كما إنَّ قد حشى قلبي محبَّاتِ
وفى اغتزالهم قطع الموداتِ

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ
إِنِّي أَحْيَى عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ
وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغِضَهُ
النَّاسُ دَاءٌ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ

آل رسول الله

قال الشافعي رضي الله عنه (١) :

آل النبي ذريعتي وهُمُومُ إِلَيْهِ وَسِيلَتِي
أَرْجُو بِهِمْ أُعْطَى غَدَاً بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي

باعوا الدين بالدنيا

قال الشافعي رضي الله عنه (٢) :

قُضَاةُ الدَّهْرِ قَدْ ضَلُّوا فَقَدْ بَانَتْ خَسَارَتُهُمْ
فَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ

(١) عن نور الأبصار

(٢) عن المجموعة المباركة وخزينة الأسرار للنازلي

ويريد الشافعي بقضاة الدهر الذين يزاولون الأحكام حبا في الدنيا ، فضل بذلك سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا والبيت مضمن لفظ الآية الكريمة (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

إحدى المصيبات

قال الشافعي رضي الله عنه^(١) :

يَالْهَيْفَ نَفْسِي عَلَى مَالٍ أَفَرَّقُهُ
عَلَى الْمُقَلِّينَ مِنْ أَهْلِ الْمَرُوءَاتِ
إِنَّ اعْتَذَارِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي
مَالِيَسَ عِنْدِي لِمَنْ إِحْدَى الْمَصِيبَاتِ

يتلهف الشافعي في هذه المقطوعة على المال الذي يريد أن يفرقه على الفقراء من أهل المروءة ويندب حظه لعدم حصول هذا المال في يده ليسعف به المحتاجين . وهو يعتبر الاعتذار بالعدم والفقير مصيبة من المصائب .

(١) عن نور الأبصار للشبلنجي نقلا عن كتاب المناقب للرازي

آداب العلم

أَصْبِرْ عَلَى مَرِّ الْجَفَا مِنْ مُعَلِّمٍ
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مَرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً
وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقْتَ شَبَابِهِ
وَذَاتُ الْفَتَى - وَاللَّهِ - بِالْعِلْمِ وَالْتَقَى
فَإِنَّ رُسُوبَ الْعِلْمِ فِي نَفَرَاتِهِ
تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ
فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا لَوْفَاتِهِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لَنَا لَا اِعْتِبَارَ لِدَاتِهِ

أصدقاء الحياة

أَحِبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُوَاتِي
يُؤَافِقُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُرِيدُهُ
فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ لَيْتَ أَنِّي أَصَبْتُهُ
تَصَفَّحْتُ إِخْوَانِي فَكَانَ أَقْلَهُمْ
وَكُلَّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَن عَثْرَاتِي
وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَيَعْدُ مَمَاتِي
لَقَسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ
- عَلَى كَثْرَةِ الْإِخْوَانِ - أَهْلُ ثِقَاتِي

المال يوجب البذل

حدثنا عبد الله الأصبهاني حدثنا أبو نصر قال : سمعت أبا عبد الله ابن أخي
وهب يقول : سمعت الشافعي يقول (١) :

وَأَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ صَمْتِ
فَمَا عَطَفُوا عَلَى أَحَدٍ بِفَضْلِ
أُنَاسٍ بَعْدَمَا كَانُوا سُكُوتًا
وَلَا عَرَفُوا لِمَكْرَمَةٍ تُبَوِّتًا

مكارم الأخلاق

إِذَا رُمْتَ الْمَكَارِمَ مِنْ كَرِيمٍ
فَذَاكَ اللَّيْثُ مَنْ يَحْمِي حِمَاهُ
فِيْمَمٌ مِنْ بَنِي اللَّهِ بَيْتًا
وَيُكْرِمُ ضَيْفَهُ حَيًّا وَمَيْتًا

حقائق الإسلام

قال أبو العلاء المعري في حيرته :
يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسَجِدٍ فُدَيْتُ
ورد عليه الشريف المرتضى بقوله :
عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا . وَأَرْخَصَهَا
ما بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ ؟
ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي

(١) حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم عبد الله الأصبهاني ٩ / ١٤٠ .

ونسبت للإمام الشافعي فتوى في المسألة ، قبل أبي العلاء ؛ وهو قوله (١) :
هُنَاكَ مَظْلُومَةٌ غَالَتْ بِقِيَمَتِهَا وَهَاهُنَا ظُلْمَةٌ هَانَتْ عَلَى الْبَارِي
وَالأُولَى دِيَّةُ الْيَدِ الَّتِي تَقْطَعُ ظُلْمًا قَصْدًا فَمَا وَهِيَ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ ذَهَبًا لِأَنَّهَا يَدُ
حَرِّ شَرِيفٍ ، وَالثَّانِيَةُ يَدُ السَّارِقِ الَّتِي تَقْطَعُ فِي رُبْعِ دِينَارٍ سَرَقْتَهُ بِالشَّرْطِ الَّتِي تَتَوَافَرُ
لِقَطْعِهَا عِنْدَ الْفُقَهَاءِ .

هذه هي أخلاق الرجل

حدث الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي ينشد (٢) :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أُرْلِفَتْ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوِاطِئِينَ فزَلَّتْ
هُمُ خَلَطُونَا بِالنَّفُوسِ وَأَلْجَأُوا إِلَى حُجْرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظْلَمَتْ
أَبَوْا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَا تُلَاقِي الذِّي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتْ
وَقَالُوا هَلُمُّوا الدَّارَ حَتَّى تَبِينُوا وَتَنْجَلِيَ الْغَمَّاءُ عَمَّا تَجَلَّتْ
وَمَنْ بَعْدَ مَا كُنَّا لِسَلْمَى وَأَهْلِهَا عَبِيدًا وَمَلَّتْنَا الْبِلَادُ وَمَلَّتْ

(١) عن زهر الربيع .
(٢) عن آداب الشافعي ومناقبه .

وقد قال مؤلف كتاب آداب الشافعي عن هذه المقطوعة نقلا عن بعض علماء العربية : هذا الشعر لطيف الغنوى الجاهلي . وقد أثبت محققه أنها لطيف . وبهذا كان الشافعي يحبها فينشدها ويرددها كثيرا . وقد أنشدها من قبل الشافعي بعض الخلفاء في الأحوال التي تناسبها ، وهو دليل حاسم على أنها ليست له .

قافية الجيم حديث الضيف (١)

مَاذَا يُخْبِرُ ضَيْفُ بَيْتِكَ أَهْلُهُ
أَيُّقُولُ : جَاوَزْتُ الْفُرَاتَ وَلَمْ أَنْلُ
وَرَقِيتُ فِي دَرَجِ الْعَلَا فَتَضَايَقْتُ
وَلتُخْبِرَنَّ خَصَاصَتِي^(٤) بِتَمَلَّقِي
عِنْدِي يَوَاقِيتُ الْقَسْرِ يَضِرُّ وُدُّهُ
تَرَبِّي عَلَى رَوْضِ الرَّبَا^(٦) أَزْهَارُهُ
وَالشَّاعِرُ الْمِنْطِيقُ أَسْوَدُ سَالِحٍ^(٧)
وَعَدَاوَةُ الشُّغْرَاءِ دَاءٌ مُعْضَلٌ
إِنْ سِيلَ كَيْفَ مَعَادُهُ وَمَعَاجُهُ
رَبًّا لَذْبَهُ وَقَدْ طَغَتْ أَمْوَاجُهُ
عَمَّا أَرِيدُ شَعَابَهُ^(٢) وَفَجَاجَهُ^(٣)
وَالْمَاءُ يُخْبِرُ عَنْ قَدَاهُ^(٥) زُجَاجُهُ
وَعَلَى إِكْلِيلِ الْكَلَامِ وَتَاجُهُ
وَيُرْفُ فِي نَادَى النَّدَى دِيبَاجُهُ
وَالشَّعْرُ مِنْهُ لَعَابُهُ وَمُجَاجُهُ
وَلَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْكَرِيمِ عِلَاجُهُ

(١) أورد هذه الأبيات صاحب وفيات الأعيان لابن حلكاك ٣ ٣٠٨

(٢) الشعب جمع شعاب وهو الطريق في الجبل

(٣) فجاج جمع مفردة فجوة وهي المرحلة والمتسع بين الشينين

(٤) خصاصتي من حصر خصاصة وحصاصا افتقر والخصاصة الفقر وخاصة الإساءة قرابته

(٥) قده القدي ما يقع في الماء والعين من تبتة وسواها والقدي يأتي بمعنى العيب

(٦) الربا جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض

(٧) أسود صالح الأسود الثعبان والسالح الثعبان الخارج من جلده

فرج الله قريب

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى
ذُرْعاً وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا
فُرِجَتْ ، وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرِجُ

ما أقرب الفرَج

يروى عن الشافعي قوله (١)
صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرَجَا
مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا
مَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا

(١) هو عن ابن كثير في تفسيره ، وأصل هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم « نزل المعونة من السماء على قدر المثونة ونزل الصبر على قدر المصيبة » وقد فرغ الشافعي على المعنى ومعنى أن يصدق الإنسان الله أن يخلص له العبادة قولاً وعملاً .

قافية الحاء

الصمت حكمة

قَالُوا سَكَتٌ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتُ لَهُمْ
إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ
وَالصَّمْتُ عَنِ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ وَفِيهِ أَيْضًا لِصَوْنِ الْعُرْسِ إِصْلَاحُ
أَمَا تَرَى الْأَسَدَ تُخَشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ ؟
وَالكَلْبُ يُخَشَى ^(١) لَعَمْرِي وَمَوْ نَبَّاحُ

المفتى المكي

حَدَّثَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ بِرُقْعَةٍ فَنظَرَ فِيهَا
وَتَبَسَّمَ ، ثُمَّ كَتَبَ فِيهَا وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ قَالَ : فَقَلْنَا يَسْأَلُ الشَّافِعِيُّ عَنِ مَسْأَلَةٍ لَا نَنْظُرُ فِيهَا
وَفِي جَوَابِهَا ؟ فَلَحَقْنَا الرَّجُلَ وَأَخَذْنَا الرُقْعَةَ فَقَرَأْنَاهَا وَإِذَا فِيهَا ^(٢) :
سَلِ الْمُفْتَى الْمَكِّيَ هَلْ فِي تَزَاوُرٍ وَضَمَّةٍ مُشْتَقِ الْفُوَادِ جُنَاحُ

(١) نجسى : يرمى بالحصى .

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج / ١٧ / ص ٣٠٥ .

وقال : وإذا إجابة أسفل من ذلك :

أقول : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُذْهِبَ التَّقَى تَلَاصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَّ جِرَاحٌ^(١)

قال الربيع : فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا فقلت :

يا أبا عبد الله تفتي بمثل هذا شاباً ؟ فقال لي : يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد

عرّس هذا الشهر - يعني شهر رمضان - وهو حدث السن ، فسأل هل عليه بجناح

أن يقبل أو يضم من غير وطء ؟ فأفتيته بهذه الفتيا . قال الربيع فتبعت الشاب

فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي فما رأيت فإسأله أحسن منها .

الفقيه والصوفي

فَقِبْهَا وَصُوفِيًّا فَكُنْ لَيْسَ وَاحِدًا فَإِنِّي وَحَقَّ اللَّهُ إِيَّاكَ أَنْصَحُ

فَذَلِكَ قَاسٍ ، لَمْ يَذُقْ قَلْبُهُ تَقَى

وَهَذَا جَهْلٌ ، كَيْفَ ذُو الْجَهْلِ يَصْلِحُ ؟

(١) الجراح جمع خراجة ، أو اسم من جرح

قافية الدال

أخلاق الناس

حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدث شعيب بن محمد الديلمي قال أنشدنا

الشافعي (١) :

أَيُّ الْكِلَابِ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً وَلَيْتَنَا (٢) لَا نَرَى مِمَّا نَرَى أَحَدًا
إِنَّ الْكِلَابَ لَتَهْدِي فِي مَوَاطِنِهَا وَالْخَلْقُ لَيْسَ بِهَادٍ ، شَرُّهُمْ أَبَدًا
فَاهْرَبْ (٣) ، بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنَسْ بِوَحْدَتِهَا

تَبَقَّ سَعِيدًا إِذَا مَا كُنْتَ مُنْفَرِدًا

الموت سنة الحياة

قال الأصبهاني : حدثنا ابن القاسم قال أملى علينا الزبير بن عبد الواحد

يقول :

سمعت الحسن بن سفيان يقول : سمعت حرملة يقول : سمعت الشافعي

يقول :

(١) حلية الاولياء ٩ / ١٤٩ .

(٢) رواية الربيع : وإنما بدل ليتنا

(٣) رواية الربيع أيضا : مراتبها .

(٤) فانج بدل فاهرب (رواية الربيع) .

فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ
وَلَا عَيْشُ مَنْ قَدْ عَاشَ بَعْدِي بِمُخْلِدي
بِهِ قَبْلَ مَوْتِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّدي

تَمَنَّى رَجَالُ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُنْتُ
وَمَا مَوْتُ مَنْ قَدَمَاتِ قَبْلِي بِضَائِرِي
لَعَلَّ الَّذِي يَرْجُو فَنَائِي وَيَدْعِي

دهري رخاء وشدة

أَخَا ثِقَةٍ عِنْدَ ابْتِلَاءِ الشَّدَائِدِ
وَنَادَيْتُ فِي الْأَحْيَاءِ هَلْ مِنْ مُسَاعِدِ؟
وَلَمْ أَرَ فِيمَا سَرَّنِي غَيْرَ حَاسِدِ

وَلَمَّا أَتَيْتُ أَطْلُبُ عِنْدَهُمْ
تَقَلَّبْتُ فِي دَهْرِي رَخَاءً وَشِدَّةً
فَلَمْ أَرَ فِيمَا سَاءَنِي غَيْرَ شَامِتِ

صحبة الناس

إِنِّي صَحَبْتُ النَّاسَ مَا لَهُمْ عَدَدُ
لَمَّا بَلَوْتُ أَخِلَائِي وَجَدْتُهُمْ
إِنْ غَبْتُ عَنْهُمْ فَشَرُّ النَّاسِ يَشْتُمُنِي
وَإِنْ رَأَوْنِي بِخَيْرٍ سَاءَهُمْ فَرَجِي
وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ مَلَأْتُ يَدِي
كَالدَّهْرِ فِي الْغَدْرِ لَمْ يُبْقُوا عَلَيَّ أَحَدٍ
وَإِنْ مَرَضْتُ فَخَيْرُ النَّاسِ لَمْ يَعُدِ
وَإِنْ رَأَوْنِي بِشَرِّ سَرَّهُمْ نَكَدِي

المنايا فوق الهامات

كَمْ ضَاحِكٍ وَالْمَنَايَا فَوْقَ هَامَتِهِ
مَنْ كَانَ لَمْ يُوْتِ عِلْمًا فِي بَقَاءِ غَدِ
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَيِّبَاتَ مَنْ كَمَدِ (١)
مَاذَا تَفَكَّرُهُ فِي رِزْقِ بَعْدِ غَدِ

(١) الكمد : الحزن المكتوم .

عفا الله

قرأت في أمالٍ أملاها أبو سليمان الخطابي على بعض تلامذته ، قال
الشيخ : كان الشافعي - رحمه الله تعالى - يوماً من أيام الحج جالساً للنظر ،
فجاءت امرأة فألقت إليه رقعة فيها^(١) :

عَفَا اللَّهُ عَنْ عَبْدٍ أَعَانَ بِدَعْوَةٍ خَلِيلَيْنِ كَانَا دَائِمِينَ عَلَى الْوُدِّ
إِلَى أَنْ مَشَى وَاشَى الْهَوَى بِنَمِيمَةٍ إِلَى ذَاكَ مِنْ هَذَا فَرَاةً عَنِ الْعَهْدِ

قال : فبكى الشافعي - رحمه الله تعالى - وقال : ليس هذا يوم نظر ، هذا يوم
دعاء ، ولم يزل يقول : اللهم ، اللهم - حتى تفرق أصحابه .

عداوة الحساد

قال الشافعي رضي الله عنه^(٢) :

كُلُّ الْعِدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا إِلَّا عِدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٧ / ٣٠٦ .

(٢) عن نور الأبصار للشبلنجي .

أيقظتني لمكرمة

جاء رجل إلى الشافعي^(١) فقال له : أصلحك الله! صديقك فلان عليل .
فقال الشافعي : والله لقد أحسنت إلى وأيقظتني لمكرمة ودفعت عني اعتذارا
يشوبه الكذب ، ثم قال :

يا غلام ، هات السبتية (السبتية : نعال مدبوغة لينة) ثم قال : للمشي
على الحفاء (بلا نعل) على علة الوجاء (العلة المؤلمة كأنها من الوجأ باليد
أو السكين) في حر الرمضاء (الأرض الحارة من شدة الحر في الصيف ووهج
الشمس) من ذى طوى (جوع) أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب ، ثم
أنشد :

أرى راحةً للحقِّ عند قضائه
وحسبُك حظًّا أن تُزى غير كاذبٍ
ومن يقضِ حقَّ الجارِ بعد ابنِ عمه
بعشٍ سيِّداً يستعذبُ الناسُ ذكره
ويثقلُ يوماً إن تَرَكْتَ عليَّ عمداً
وقولُك لم أعلمْ وذاك من الجهدِ
وصاحبه الأذنى على القُربِ والتُّعدِ
وإن نابهُ حقُّ أتوهُ على قهسِ

(١) عن معجم الأدباء لياقوت عن حيثمة بن سليمان بن حيدر

الموت يطلبه

وقال الشافعي رضي الله عنه^(١) :

وَمُتَّعِبِ الْعَيْشِ مُرْتاحاً إِلَى بَلَدٍ
وَضاحِكُ وَالْمِنائِيا فَوْقَ مَفْرِقِهِ
مَنْ كَانَ لَمْ يُوْتَّ عِلْماً فِي بَقَاءِ غَدِ
وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَدِ
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَيْباً مَاتَ مِنْ كَمَدِ
مَاذَا تَفَكَّرُهُ فِي رِزْقِ بَعْدِ غَدِ ؟

كل من عليها فان

قال ابن عبد الحكم : سمعت أشهب يدعو على الشافعي فذكر ذلك

للشافعي فقال^(٢) :

تَمَنَّى رَجالٌ أَنْ أَموتَ وَإِنْ أُمْتُ
فَقُلْ لِلذِّى يَبغِى خِلافَ الذِّى مَضَى
وَقد عِلْمُوا لَوْ يَنْفَعُ العِلْمُ عِنْدَهُمْ
فَتَلْكَ سَبيلُ لَسْتُ فِيها بِأَوْحَدِ
تَهياً لِأُخْرى مِثْلِها فَكانَ قَدِ
إِذا مِتُّ ما الداعِى عَلَيَّ بِمُخَلَدِ

(١) عن العمدة لابن رشيقي .

(٢) عن نور الابصار وحياة الحيوان للدميري .

وكان ابن عبد الحكم من أصحاب الشافعي في مصر وكان من أكبر أصحابه ومن كتبه « عمر بن عبد العزيز رواية عن مالك » وكتاب « فتوح مصر وأخبارها » وأشهب هو ابن عبد العزيز بن داود الفقيه المالكي المصري ولد في السنة التي ولد فيها الشافعي ومات بعده بثانية عشر يوماً ، واشتهر بعداوته للشافعي . وتروى هذه الأبيات لجرير .

عفو الله

إِنْ كُنْتَ تَعْدُرُ فِي الذَّنُوبِ جَلِيدًا
فَلَقَدْ أَتَاكَ مِنَ الْمُهَيِّمِينَ عَفْوُهُ
لَا تَيَأْسُنْ مِنْ لَطْفِ رَبِّكَ فِي الْحَشَا
لَوْ شَاءَ أَنْ تَصَلِيَ جَهَنَّمَ خَالِدًا
وَتَخَافُ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ وَعِيدًا
وَأَفَاضَ مِنْ نِعَمٍ عَلَيْكَ مَزِيدًا
فِي بَطْنِ أُمَّكَ مُضْغَةً وَوَلِيدًا
مَا كَانَ الْهَمُّ قَلْبِكَ التَّوْحِيدًا

التفويض لله

إِذَا أَصْبَحْتَ عِنْدِي قُوتُ يَوْمِي
وَلَا تَخْطُرُ هُمُومُ غَدٍ بِيَالِي
أَسْلَمْتُ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا
فَخَلَّ الْهَمَّ عَنِّي يَا سَعِيدُ
فَإِنَّ غَدًا لَهُ رِزْقٌ جَدِيدُ
فَاتْرُكْ مَا أَيْدُ لِمَا مَا أُرِيدُ

الشعر

وَلَوْ لَا الشُّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرَى
وَأَشْجَعُ فِي الْوَعْيِ مِنْ كُلِّ لَيْثٍ
وَلَوْ لَا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ رَبِّي
لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدٍ
وَأَلْ مُهَلَّبٍ وَنَسِي يَزِيدٍ
حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَيْدِي

تقوى الله

حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا يوسف بن عبد الأحد قال : قلت للمزني كان الشافعي يتروح ببيتين من الشعر ما هما ؟ فأنشدني ^(١) :

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا أَرَادَا
يَقُولُ الْمَرْءُ فَأَيْدَتِي وَمَالِي وَتَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا

في الأسفار خمس فوائد ^(٢)

تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَمِّ ، وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ ، وَآدَابٌ ، وَصُحْبَةُ مَا جَدِ ^(٣)

(١) حلية الأولياء ٩ / ١٥١ .
(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢ / ٢٦ .
(٣) ماجد : من مجد الرجل صار كريماً إذا خلق طيب .

محن الزمان

مِحْنُ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ لَا تَنْقِضِي وَسُرُورَةٌ يَأْتِيكَ كَالْأَعْيَادِ
مَلِكِ الْأَكْبَابِ فَاسْتَرْقِ رِقَابَهُمْ وَتَرَاهُ رِقًّا فِي يَدِ الْأَوْغَادِ (١)

حسب الوالى

قَالُوا تَرْفُضْتِ قُلْتُ : كَلًّا مَا الرَّفْضُ دِينِي وَلَا اعْتِقَادِي
لَكِنَّ تَوَلَيْتِ غَيْرَ شَكِّ خَيْرَ إِمَامٍ وَخَيْرَ هَادِي
أَنْ كَانَ حُبُّ الْوَالِي رَفْضًا فَإِنَّ رَفْضِي إِلَى الْعِبَادِ

(١) الوغد : ضعيف العقل ، الاحق ، الدنيا والساقط من الناس .

قافية الرءاء

جنان الخلد

يَأْمَنُ يُعَانِقُ دُنْيَا لَابِقَاءَ لَهَا يُمَسِي وَيُصْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَارَا
هَلَّا تَرَكَتَ لِدِي الدُّنْيَا مُعَانِقَةً حَتَّى تُعَانِقَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَبْكَارَا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جِنَانَ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا
فَيُنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَأْمَنَ النَّارَا

أمطري لؤلؤا

أَمْطِرِي لَوْلُؤَا جِبَالَ سِرْنَدِيدِ بَ وَفِيضِي آبَارَ تَكْرُورَ تَبْرَا
أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قُوتَا وَإِذَا مِتُّ لَسْتُ أَعْدَمُ قَبْرَا
هِمَّتِي هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرَا
وَإِذَا مَا قَنِعْتُ بِالْقُوتِ عُمْرِي فَلِمَاذَا أَزُورُ زَيْدًا وَعَمْرَا

وتنسب للبارودي ، ولعله استشهد بها فقط .

شقاء وأى شقاء

قال رضى الله عنه^(١)

ومن الشقاوة أن تحبَّ
أو أن تريدَ الخيرَ للإنسان (م)
ومن تحبُّ يحبُّ غيرك
وهو يريدُ ضركَ

أمر فوق أمرى

وقال الشافعى :

أفكرُ فى نوى إلفى وصبرى
وما قصرتُ فى طلبٍ ولكن
وأحمد هميتى وأذمُّ دهرى
لربِّ الناسِ أمرٌ فوق أمرى

المرء خبير بنفسه^(٢)

ماحك جلدك مثلُ ظفرك
وإذا قصدتَ حاجةً فاقص
فتولُّ أنتَ جميعَ أمرك
لذِّ لمعترفٍ بفضلك

(١) عن اداب الشافعى .

(٢) عن نور الأبصار : أن الشافعى رضى الله عنه قال :

شوق إلى مصر

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي تُتَوِّقُ إِلَى مِصْرٍ
وَمِنْ دُونِهَا أَرْضُ الْمَهَامَةِ^(١) وَالْقَفْرِ^(٢)
فَوَاللَّهِ لَا أَدْرِي أَلِالْفَوْزِ وَالْغَنَى أَسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أَسَاقُ إِلَى الْقَبْرِ؟
وفي رواية أبي بكر ابن بنت الشافعي : قال الشافعي بمكة حين أراد الخروج
إلى مصر :

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي تُتَوِّقُ إِلَى مِصْرٍ
وَمِنْ دُونِهَا قَطْعُ الْمَهَامَةِ وَالْقَفْرِ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَلِالْفَوْزِ وَالْغَنَى أَسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أَسَاقُ إِلَى الْقَبْرِ
قال : فخرج فقطع عليه الطريق فدخل بعض المساجد وليس عليه إلا
حزمة ، فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد فقال^(٣) :

عَلَى ثِيَابٍ لَوْ يُبَاعُ جَمِيعُهَا بَفَلْسٍ لَكَانَ الْفَلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرَ
وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَاسُ بِبَعْضِهَا نُفُوسُ الْوَرَى كَانَتْ أَجَلًّا وَأَكْبَرَ
وَمَا ضَرَّ نَضْلَ السَّيْفِ إِخْلَاقُ غَمْدِهِ إِذَا كَانَ عَضْبًا أَيْنَ وَجْهَتَهُ فَرَى

(١) المهامة : المفازة البعيدة والصحراء القاحلة . ومفردها مهمه .

(٢) القفر : الصحراء التي لا نبات ولا ماء ، والجمع قفار .

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٧ / ٣٢٠ .

احذر مودة الناس

كُنْ سَائِراً فِي ذَا الزَّمَانِ بِسَيْرِهِ
وَاعْسِلْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
إِنِّي أَطْلَعْتُ فَلَمْ أَجِدْ لِي صَاحِباً
فَتَرَكْتُ أَسْفَلَهُمْ لِكَثْرَةِ شَرِّهِ
وَعَنِ الْوَرَى كُنْ رَاهِباً فِي دَيْرِهِ
وَاحْذِرْ مَوَدَّتَهُمْ تَنْلُ مِنْ خَيْرِهِ
أَصْحَبُهُ فِي الدَّهْرِ وَلَا فِي غَيْرِهِ
وَتَرَكْتُ أَعْلَاهُمْ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ

المشكلات

حدث الحسين بن محمد الزعفراني قال : سئل الشافعي عن مسألة فأجاب
عنها ثم أنشأ يقول (١) :

إِذَا الْمُشْكَلاتُ تَصَدَّ يَنْ لِي (٢) كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا لِلنَّظَرِ

وحدى للعبادة

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلاً تَقِيًّا فَوَحَدَتِي
وَأَجْلِسْ وَحْدِي لِلْعِبَادَةِ آمِناً
أَلِدُّ وَأَشْهَى مِنْ غَوِيٍّ أَعَاشِرُهُ
أَقْرُّ لِعَيْنِي مِنْ جَلِيسٍ أُحَاذِرُهُ

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٨ / ٣٠٩ .

(٢) تصدين : تعرضين .

اليقظة والحذر

تَاهَ الْأَعْيُرُجُ^(١) وَاسْتَعْلَى بِهِ الْخَطَرُ
أَحْسَنْتَ ظَنُّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ
وَسَأَلَمْتِكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَّتْ بِهَا .
فَقُلْ لَهُ خَيْرٌ مَا اسْتَعْمَلْتَهُ الْحَذَرُ
وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا تَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

التماس العذر

إِقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا
لَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ
إِنْ بَرَّ^(٢) عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْفَجَرًا^(٣)
وَقَدْ أَجَلَّكَ^(٤) مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتِرًا^(٥)

إِيَّاكَ

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا فَضْلٍ وَعِلْمٍ
فَنَاطِرُ مَنْ تَنَاطَرُ فِي سُكُونٍ
بِمَا اخْتَلَفَ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ
حَلِيمًا لَا تُلْحُ وَلَا تُكَابِرُ

-
- (١) الأعيرج : حية صباء كالأفعى قال الليث لا يؤنث والجمع الأعيرجات .
(٢) بر : صدق .
(٣) فجر : كذب .
(٤) أجلك : عظمك .
(٥) مسترا : أى فى غيبتك .

مِنَ النَّكَتِ اللَّطِيفَةِ وَالنَّوَادِرِ
بِأَنِّي قَدْ غَلَبْتُ وَمَنْ يُفَاخِرُ
يُمْنِي بِالتَّقَاطِعِ وَالتَّدَابِرِ

يُفِيدُكَ مَا اسْتَفَادَ بِلا أَمْتِنَانِ
وَإِيَّاكَ اللَّجُوجَ وَمَنْ يُرَائِي
فَإِنَّ الشَّرَّ فِي جَنَبَاتِ هَذَا

الدَّهْرُ يَوْمَانِ

وَالْعَيْشُ عَيْشَانِ ذَا صَفْوٍ وَذَا كَدْرٍ
وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَاعِهِ الدَّرْرُ
وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

الدَّهْرُ يَوْمَانِ ذَا أَمْنٍ وَذَا خَطَرٍ
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفٌ
وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا

الصَّمْتُ

إِذَا لَمْ أَجِدْ رِبْحاً فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ
وَتَاجِرُهُ يَعْלו عَلَيَّ كُلُّ تَاجِرٍ

وَجَدْتُ سُكُوتِي مَتَجِراً فَلَزِمْتُهُ
وَمَا الصَّمْتُ إِلَّا فِي الرُّجَالِ مَتَاجِرٍ

رَاضٍ بِمَا حَكَمَ الدَّهْرُ

وَلَكِنِّي رَاضٍ بِمَا حَكَمَ الدَّهْرُ
فَإِنِّي بِهَا رَاضٍ وَلَكِنَّهَا قَهْرُ

وَمَا كُنْتُ أَرْضَى مِنْ زَمَانِي بِمَا تَرَى
فَإِنَّ كَانَتْ الْأَيَّامُ خَانَتْ عُهُودَنَا

نفس كبيرة

قال الشافعي رضى الله عنه^(١) :

عَلَى ثِيَابٍ لَوْ تُقَاسُ جَمِيعُهَا
وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَاسُ بَعْضُهَا
وَمَا ضُرَّ نَصْلَ السِّيفِ إِخْلَاقَ غَمْدِهِ
بِفُلْسٍ لَكَانَ الْفُلْسُ مِنْهُمْ أَكْثَرًا
نَفُوسَ الْوَرَى كَانَتْ أَجَلٌ وَأَكْبَرًا
إِذَا كَانَ عَضْبَانٌ حَيْثُ وَجْهَتَهُ فَرَى

مثل الحسام

لِسَانَ كَشْفُ شَقَّةٍ^(٢) الْأَرْحَبِ
وَلَسْتُ بِإِمْعَةٍ^(٣) فِي الرَّجَا
وَلَكِنِّي مَدْرَةٌ^(٤) الْأَصْفَرِ
سَيِّ^(٥) وَكَالْحُسَامِ الْيَمَانِي الذَّكْرُ
لِ أَسَائِلِ هَذَا وَذَا مَا الْخَيْرُ؟
بِنِ^(٦) جَلَابُ خَيْرٍ وَفَرَّاجُ شَرِّ

(١) عن المستطرف للأبشيهي ونور الأبصار

(٢) الشقشة . شيء كالريق يخرجه البعير من فيه إذا هاج . وإذا قالوا للخطيب ذو شقشة أي فإنها يشبه بالفعل .

(٣) الأرحبي . نسبة إلى أرحب . قبيلة من بني رحب . ومنها النجائب الأرحبيات .

(٤) امعة : الرجل الذي يتابع كل واحد على رأيه ولا يثبت على شيء

(٥) مدره . المدره : المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال . وزعيم القوم والمتكلم منهم .

(٦) الأصفران . القلب واللسان .

عار الهوان^(١)

قِيلَ لِي قَدْ أَسَى عَلَيْكَ فُلَانٌ وَمُقَامُ الْفَتَى عَلَى الذُّلِّ عَارُ
قُلْتُ قَدْ جَاءَنِي وَأُحْدِثَ عُذْرًا دِيَةُ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الْاِعْتِذَارُ

الصديق والعدو

كان الشافعي رضى الله عنه كثيرا ما ينشد قوله^(٢)

وليس كثيرا ألف نخل لواحد وإن عدوا واحد لكثير
وهذا يفيد حب الشافعي لكثرة الأصدقاء ونفوره وتنفيره من اتخاذ الأعداء ،
وهي أخلاق المعلمين والأئمة الذين يتعرضون للناس ويستكثرون من تلاميذهم
وأصحابهم .

(١) عن نور الأبصار .

(٢) عن كتاب تنبيه المغترين للامام الشعراني .

أجل وأكبر

حدثنا أبو الفضل نصر بن أبي نصر الطوسي قال : سمعت أبا الحسن علي بن أحمد القصري يقول : حدثني بعض شيوخنا قال : لما أشخص الشافعي إلى (سر من رأى)^(١) دخلها وعليه أطمار رثة وطال شعره ، فتقدم إلى مزين فاستقذره لما نظر إلى رثائه ، فقال له : تمضى إلى غيري ، فاشتد على الشافعي أمره ، فالتفت إلى غلام كان معه فقال : أيش معك من النفقة ؟ قال : عشرة دنانير قال : ادفعها إلى المزين ، فدفعها الغلام إليه ، فولى الشافعي وهو يقول^(٢) :

عَلَى ثِيَابٍ لَوْ تَبَاعُ جَمِيعُهَا
وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَاسُ بِبَعْضِهَا
وَمَا ضَرَّ نَضَلَ السَّيْفِ إِخْلَاقُ غَمْدِهِ
بِفُلْسٍ لَكَانَ الْفُلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرًا
نُفُوسُ الْوَرَى كَانَتْ أَجَلٌ وَأَكْبَرًا
إِذَا كَانَ عَضْبًا حَيْثُ وَجْهَتُهُ فَرَى

(١) سر من رأى : سامراء : بلدة في العراق .

(٢) حلية الأولياء ٩ / ١٣١ .

قافية السين

صديقك من كان معك في الشدائد

صَدِيقٌ لَيْسَ يَنْفَعُ يَوْمَ بُؤْسٍ قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ فِي الْقِيَاسِ
وَمَا يَبْقَى الصَّدِيقُ بِكُلِّ عَضْرٍ وَلَا الْإِخْوَانُ إِلَّا لِلتَّاسِي
عَبَرْتُ الدَّهْرَ مُلْتَمِسًا بِجُهْدِي أَخَا ثِقَةٍ فَأَلْهَانِي التَّمَاسِي
تَنَكَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا كَأَنَّ أَنْسَاهَا لَيْسُوا بِنَاسِ

رحمتك اللهم

قَلْبِي بِرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ ذُو أَنْسٍ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ وَالْإِصْبَاحِ وَالْغَلَسِ
وَمَا تَقَلَّبْتُ مِنْ نَوْمِي وَفِي سِنْتِي إِلَّا وَذَكَرُكَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ
لَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ قَلْبِي بِمَعْرِفَةٍ بِأَنَّكَ اللَّهُ ذُو الْآلَاءِ وَالْقُدْسِ
وَقَدْ أَتَيْتُ ذُنُوبًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا وَلَمْ تَكُنْ فَاضِحِي فِيهَا بِفِعْلِ مَسِي
فَأَمَنْتُ عَلَيَّ بِذِكْرِ الصَّالِحِينَ وَلَا تَجْعَلْ عَلَيَّ إِذَا فِي الدِّينِ مِنْ لَبْسِ
وَكُنْ مَعِيَ طَوْلَ دُنْيَايَ وَأَخْرَتِي وَيَوْمَ حَشْرِي بِمَا أَنْزَلْتَ فِي عَبَسِ

طريق النجاة

يَا وَاعِظَ النَّاسِ عَمَّا أَنْتَ فَاعِلُهُ يَا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ الْعُمُرُ بِالنَّفْسِ
أَحْفَظُ لِشَيْبِكَ مِنْ عَيْبٍ يُدْنِسُهُ إِنَّ الْبَيَاضَ قَلِيلُ الْحَمَلِ لِلدَّنَسِ
كَحَامِلِ لثِيَابِ النَّاسِ يَغْسِلُهَا وَثَوْبُهُ غَارِقٌ فِي الرَّجْسِ وَالنَّجَسِ
تَبْغِي النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكِ طَرِيقَتَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبْسِ
رُكُوبُكَ النَّعْشَ يُنْسِيكَ الرُّكُوبَ عَلَى

مَا كُنْتَ تَرَكِبُ مِنْ بَعْلِ وَمِنْ فَرَسٍ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا مَالَ وَلَا وَلَدٌ وَضَمَّةُ الْقَبْرِ تُنْسِي لَيْلَةَ الْعُرْسِ

وقفة الحر بباب نحس

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وَضَرْبُ حَبْسٍ وَنَزْعُ نَفْسٍ وَرَدُّ أَمْسٍ
وَقَرُّ^(١) بَرْدٍ وَقَوْدُ^(٢) فَرْدٍ وَدَبْعُ جِلْدٍ بَغَيْرِ شَمْسٍ
وَأَكْلُ ضَبٍّ وَصَيْدُ دَبٍّ وَصَرْفُ حَبٍّ بِأَرْضِ خَرْسٍ^(٣)

(١) القر : شدة البرد ومنه ليلة قارة ويوم قار : أي شديد البرد .

(٢) قود : القصاص ، والفعل أقاد القاتل بالقتيل قتله به .

(٣) خرس : أي لاتنبت زرعاً ولا كلاً ، ومنه سحابة خرساء : أي ليس فيها رعد ولا برق .

وَنَفُخُ نَارٍ وَحَمَلُ عَارٍ وَتَيْعُ دَارٍ بَرُّعِ فُلْسِ
وَتَيْعُ خُفٍّ وَعَدَمُ إلفِ وَضَرْبُ ألفِ بِحَبْلِ قَلْسِ^(١)
أَهْوَنُ مِنْ وَقْفَةِ الْحَرِّ يَرْجُو نَوَالاً^(٢) بِبَابِ نَحْسِ

شرف العلم

العِلْمُ مَغْرَسٌ كُلُّ فَخْرٍ فَافْتَحِرْ وَأَحْذَرْ يَفُوتُكَ فَخْرُ ذَاكَ الْمَغْرَسِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ يَنَالُهُ مَنْ هَمُّهُ فِي مَطْعَمٍ أَوْ مَلْبَسِ
إِلَّا أَخُو الْعِلْمِ الَّذِي يُعْنَى بِهِ فِي حَالَتَيْهِ عَارِيَا أَوْ مُكْتَسِي
فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْهُ حَظًّا وَافِرًا وَاهْجُرْ لَهُ طِيبَ الرُّقَادِ وَعَبْسِ
فَلَعَلَّ يَوْمًا إِنْ حَضَرْتَ بِمَجْلِسِ كُنْتَ الرَّئِيسَ وَفَخْرَ ذَاكَ الْمَجْلِسِ

* * *

(١) قلس : جمعة قلوس : وهو جبل السفينة الضخم في أصل الاستعمال .
(٢) النوال : العطاء .

قافية الصاد

خلفاء رسول الله

شَهِدْتُ بَأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وَأَنَّ عُرَى الْإِيمَانِ قَوْلٌ مُبَيَّنٌ
وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَبِّهِ
وَأَشْهَدُ رَبِّي أَنَّ عُثْمَانَ فَاضِلٌ
أَيُّمَةٌ قَوْمٍ يُهْتَدَى بِهِدَاهُمُ
وَأَشْهَدُ أَنَّ الْبَعَثَ حَقٌّ وَأَخْلَصُ
وَفِعْلٌ ذَكِيٌّ قَدْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ
وَكَانَ أَبُو حَفْصٍ ^(١) عَلِيٌّ الْخَيْرُ يَحْرُصُ
وَأَنَّ عَلِيًّا فَضْلُهُ مُتَخَصِّصٌ
لَحَى اللَّهَ مَنْ إِيَّاهُمْ يَتَنَقَّصُ ^(٢)

العلم نور

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءَ حِفْظِي
وَأَخْبَرَنِي بَأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ
فَأرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي

* * *

(١) أبو حفص : عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) لحى الله فلانا : قبحه .

قافية الضاد

إذا لم تجودوا

إذا لم تجودوا والأُمورُ بكم تمضي
وقد ملكت أيديكم البسط والقبضا
فماذا يرجي منكم إن عزلتم
وعضتكم الدنيا بانيابها عضا
وتسترجع الأيام ما وهبتكم
ومن عادة الأيام تسترجع القرضا

قف بالمحصب

ياراكباً قف بالمحصب من منى
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى
إن كان رفضاً حُب آل محمد
واهتف بقاعد خيفها والناهض
فيضاً كملتطم الفرات الفائض
فليشهد الثقلان أني رافضي

* * *

قافية العين

أحب الصالحين

أَحَبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ
لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَهُ
وَأَكْرَهُ مِنْ تَجَارَتِهِ الْمَعَاصِي
وَلَوْ كُنَّا سِوَاءَ فِي الْبِضَاعَةِ

أدب الناصح

تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ
وَأِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي
وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ
مَنْ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ
فَلَا تَجْرِعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهُ

الورع

أَسْرُهُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا وَرِعَا
كَمَا الْعَبْدُ السَّتِيمُ أَشْغَلَهُ
عَنْ وَحَمِ النَّاسِ كُلَّهُمْ وَحَمَهُ
أَشْغَلَهُ عَنْ عُيُوبِ غَيْرِهِ وَرِعَاهُ

دعاء إلى الله

وَرُبَّ ظَلُومٍ^(١) قَدْ كُفِيتَ بِحَرْبِهِ
فَمَا كَانَ لِي إِسْلَامٌ إِلَّا تَعَبُدًا
وَحَسْبُكَ أَنْ يَنْجُو الظُّلُومُ وَخَلْفَهُ
مُرِيْشَةٌ بِالْهُدْبِ^(٢) مِنْ كُلِّ سَاهِرٍ
فَأَوْقَعَهُ الْمَقْدُورُ أَيُّ وَقُوعٍ
وَأَدْعِيَّةً لَا تُتَّقَى بِدُرُوعٍ
سِهَامٍ دُعَاءٍ مِنْ قَسِيٍّ^(٣) رُكُوعٍ
مَنْهَلَةً أَطْرَافُهَا بِدُمُوعٍ

محوال في القياس

تَعْصِي أَلِهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حَبَّةً
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطْعَمْتَهُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ بِنِعْمَةٍ
هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيْعٌ
إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ
مَنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيْعٌ

(١) ظالم وظلوم بمعنى واحد

(٢) القسي . السهام

(٣) مريشة بالهدب كناية عن لصق شعر الأهداب فيها كما يلصق الشعر على مؤخرة السهم لسرعة سرعته والمعنى دعوة المظلوم مرسله إرسال السهم السريع لأنها مبتلة بريش الهدب ودموع الجعر . أي أنها كأنها ريشها هدب العيون ومددها دموع عين المظلوم

المفتى المكي

روى ياقوت الحموي فقال : بلغني أن رجلا جاء الشافعي برقعة فيها^(١) :

سَلِ الْمَفْتِيَ الْمَكِّيَّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ إِذَا اشْتَدَّ وَجْدُ بِأَمْرِيءِ مَاذَا يَصْنَعُ

قال : فكتب الشافعي تحته :

يُدَاوِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَيَخْضَعُ

فأخذها صاحبها وذهب بها ، ثم جاءه وقد كتب تحت هذا البيت الذي هو

الجواب :

فَكَيْفَ يُدَاوِي وَالْهَوَى قَاتِلُ الْفَتَى وَفِي كُلِّ يَوْمٍ غُصَّةٌ^(٢) يَتَجَرَّعُ

فكتب الشافعي - رحمه الله تعالى - :

فَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ أَنْفَعُ

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١٧ .
(٢) الغصة : الشجاء : وما غص الإنسان من طعام أو غيظ وما اعترض في الحلق فأشرق والمهم والحزن .

حذار من الطمع

قال الشافعي (١) :

العبيدُ حرٌّ إن قَنَعُ والحُرُّ عبدٌ إن طَمَعُ
فالقنَعُ ولا تقنَعُ فلا شيءٌ يشينُ سوى الطمَعُ

الذل في الطمع

حَسْبِي بَعْلَمِي إِنْ نَفَعُ مَا الذُّلُّ إِلَّا فِي الطَّمَعِ
مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ رَجَعُ مَا طَارَ طَيْرٌ وَارْتَفَعُ
إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعُ * * *

(١) عن مقدمة كتاب الأم .
في البيت الأول قنع بكسر النون وفتحها من الأضداد والأولى بمعنى الرضا والقناعة . والثانية بمعنى
الطمع والبطر . ومعنى الكلام واضح .

قافية الفاء

من هم الأصدقاء ؟

إِذَا الْمَرْءُ لَا يَرَعَاكَ إِلَّا تَكَلَّفَا
فَفِي النَّاسِ أُبْدَالٌ وَفِي التَّرِكِ رَاحَةٌ
فَمَا كُلُّ مَنْ تَهَوَّاهُ يَهْوَاكَ قَلْبُهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ صَفْوُ الْوَدَادِ طَبِيعَةً
وَلَا خَيْرٌ فِي خَلٍّ يَخُونُ خَلِيلَهُ
وَيُنْكِرُ عَيْشًا قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا
فَدَعُهُ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ التَّاسُفَا
وَفِي الْقَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَوْ جَفَا
وَلَا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا
فَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ يَجِيءُ تَكَلَّفَا
وَيَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الْمَوَدَّةِ بِالْجَفَا
وَيُظْهِرُ سِرًّا كَانَ بِالْأَمْسِ قَدْ خَفَا
صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقٌ الْوَعْدِ مُنْصِفَا

إمام يذكر فضل إمام

رحمة على إمام المسلمين أبي حنيفة

لَقَدْ زَانَ الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا
بِأَحْكَامٍ وَأَثَارٍ وَفِقْهِ
فَمَا بِالْمَشْرِقَيْنِ لَهُ نَظِيرٌ
فَرَحْمَةٌ رَبَّنَا أَبَدًا عَلَيْهِ
إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَةَ
كَآيَاتِ الزُّبُورِ عَلَى الصَّحِيفَةِ
وَلَا بِالْمَغْرِبَيْنِ وَلَا بِكُوفَةَ
مَدَى الْأَيَّامِ مَا قُرِئَتْ صَحِيفَةَ

كيف الوصول إلى سعاد

كَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى سَعَادٍ^(١) وَدُونَهَا
قَلُّ الْجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُتُوفُ
وَالرَّجُلُ حَافِيَةٌ وَلَا لِي مَرْكَبُ
وَالْكَفُّ صَفْرٌ وَالطَّرِيقُ مَخُوفُ

(١) كنى بسعاد عن محبوبه الأكرم وهو الله .

ما أضعف القوى وأقوى الضعيف

أَكَلَ الْعُقَابُ^(١) بِقُوَّةٍ جِيفَ الْفَلَا وَجَنَى الذُّبَابُ الشُّهْدَ وَهُوَ ضَعِيفٌ

المتسكون

حدث عبد الله بن جعفر ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب ، حدثنا

أبو حاتم ، حدثنا حرمله قال : سمعت الشافعي يقول^(٢) :

وَدَعَ الَّذِينَ إِذَا أَتَوْكَ تَنَسَّكُوا وَإِذَا خَلَوْا فَهُمْ ذُنَابُ خِرَافٍ^(٣)

* * *

(١) العقاب : طائر كاسر - بضم العين .

(٢) الرازي في كتابه آداب الشافعي ص ٢٧٢ .

(٣) حفاف كما في الطبقات : جمع « حقف » : ما اعوج من الرمل واستطال كما في اللسان . وفي حلية

الأولياء ١٥٤ / ٩ : ذناب خراف .

قافية القاف

لا مقام في وطن يضام الحرف فيه

ارْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا
وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ
فَالْعَنْبَرُ^(١) الْخَامُ رَوْتُ فِي مَوَاتِنِهِ
وَفِي التَّغْرِبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ
وَالْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجَارِ تَنْظَرُهُ
فِي أَرْضِهِ وَهُوَ مَرْمِيٌّ عَلَى الطَّرْقِ
لَمَّا تَغْرَبَ حَازَ الْفَضْلَ أَجْمَعَهُ
فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ^(٢)

حلاوة العلم

سَهْرِي لِنَتْفِيحِ الْعُلُومِ أَلْدُلِي
وَصَرِيرُ أَقْلَامِي عَلَى صَفْحَاتِهَا
وَأَلْدُّ مِنْ نَقْرِ الْفَتَاةِ لِذَفِّهَا
وَتَمَائِلِي طَرِبًا لِحَلِّ عَوِيصَةِ
وَأَبِيْتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبِيئَتُهُ
مِنْ وَضَلِ غَانِيَةٍ وَطَيْبِ عِنَاقِ
أَحْلَى مِنَ الدُّوْكَاءِ وَالْعُشَاقِ
نَقْرِي لِأَلْقَى الرَّمْلَ عَنْ أَوْرَاقِي
فِي الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ
نَوْمًا وَتَبْغِي بَعْدَ ذَلِكَ لِحَاقِي ؟

(١) العنبر: طيب يستخرج من بطن الحوت بعد موته .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ص ٣٠٧ ج ٣ .

علمى معى

عِلْمِي مَعِيَ حَيْثَمَا يَمُتُّ قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لِأَبْطُنٍ صُنْدُوقِ
إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ
أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

الصديق ربما أخطأ في حق الصديق

رَأْمٌ نَفَعًا فَضْرًا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَمِنْ الْبِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقًا^(١)

هو الحظ

قال محمد بن المنصور^(١) : قرأت في كتاب طاهر بن محمد النيسابورى بخط
الإمام الشافعى :

إِنَّ امْرَأَةً وَجَدَ الْيَسَارَ فَلَمْ يُصِبْ حَمْدًا وَلَا شُكْرًا لِغَيْرِ مُوَفَّقٍ
الْجَدُّ يُدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ وَالْجَدُّ^(٢) يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ

(١) عن آثار البلاد وأخبار العباد ، والمخزون في تسلية المحزون ، والعمدة لابن رشيقي والكشكول ،
للبيهاتى وصفوة الصفوة .

(٢) الجد بفتح الجيم في الشطرين ومعناه الحظ . والمجدود معناه المحظوظ . وقد جاءت إحدى
الروايات بهذا اللفظ الأخير . ويراد بالعود الذى لم يثمر لتجرده . والمكدود في البيت الرابع :
المحروم . وحقق فعل أمر بمعنى تحقق وصدق ما سمعته .

وإذا سمعتَ بأنَّ مكدوداً أتى
وأحقُّ خلقِ اللهِ بالهمِّ امرؤُ
ومِنَ الدليلِ عَلَى القضاءِ وكونِهِ

ماءً ليشربَهُ فغاضَ فحَقَّقَ
ذو همَةٍ يُبلى بعيشِ ضيقِ
بؤسِ اللَّيبِ وطيبِ عيشِ الأحمقِ

* * *

قافية اللام

العمل لا الكلام

إِنَّ الْفَقِيهَ هُوَ الْفَقِيهُ بِفَعْلِهِ لَيْسَ الْفَقِيهُ بِنُطْقِهِ وَمَقَالِهِ
وَكَذَا الرَّئِيسُ هُوَ الرَّئِيسُ بِخَلْقِهِ لَيْسَ الرَّئِيسُ بِقَوْمِهِ وَرِجَالِهِ
وَكَذَا الْغَنِيُّ هُوَ الْغَنِيُّ بِحَالِهِ لَيْسَ الْغَنِيُّ بِمُلْكِهِ وَبِمَالِهِ

وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو

بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . وعن الربيع قال أنشدني الشافعي (١) :

لَمْ يَفْتِئِ النَّاسُ حَتَّى أَحْدَثُوا بَدْعًا

فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ يُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ

حَتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ وَفِي الَّذِي حَمَلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغْلُ

الإخوان قليل في النائبات

تَعَشَّرَ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلُ

نِبَابِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ

صُنَّ النَّفْسُ وَأُحْتَمِلَهَا عَلَيَّ مَا يَزِينُهَا

وَلَا تُؤَلِّينِ النَّاسَ إِلَّا تَجْمُلًا

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٤/١٠ .

عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ
إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ ، مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ
وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ اليَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ
وَمَا أَكْثَرَ الإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ

المرء لا يولد عالماً

وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ
صَغِيرٌ إِذَا التَّفَّتْ عَلَيْهِ الجَحَافِلُ
كَبِيرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ المَحَافِلُ

تَعَلَّمَ فَلَيْسَ المَرءُ يُولَدُ عَالِماً
وَإِنَّ كَبِيرَ القَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ
وَإِنَّ صَغِيرَ القَوْمِ إِنْ كَانَ عَالِماً

طالب الحكمة

يَكْدَحُ فِي مَضْلِحَةِ الأهلِ
خَالٍ مِنَ الأفْكَارِ وَالشُّغْلِ
سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ بِالفَضْلِ
فَرَّقَ بَيْنَ التُّبَنِ وَالبَقْلِ

لَا يُدْرِكُ الحِكْمَةَ مَنْ عُمِرُهُ
وَلَا يَنَالُ العِلْمَ إِلَّا فَتَى
لَوْ أَنَّ لُقْمَانَ الحَكِيمِ الذِي
بَلَى بِفَقْرٍ وَعِيَالٍ لِمَا

طريق المعالى

وقال رضى الله عنه (١) :

بقدر الكد تكتسب المعالى
ومن رام العلا من غير كد
تروم العز ثم تنام ليلا
ومن طلب العلا سهر الليالى
أضاع العمر فى طلب المحال
يغوص البحر من طلب اللآلى

البيت الأول فى هذه الأبيات مروى ذائع ، ولكن بقدر الذبوع يكون قبول
النفوس للأقوال . والمحال وفى البيت الثانى : المستحيل .

زادنى علماً بجهلى

وقال الشافعى (٢) :

كلما أدبني الدهر أرانى نقص عقلى
وإذا ما ازددت علماً زادنى بجهلى

(١) من المجموعة المباركة .

(٢) وفيات الأعيان .

الشقى فى شقاء

المرءٌ يَحْظَى ثُمَّ يَغْلُو ذِكْرَهُ حَتَّى يُزَيِّنَ بِالسِّدِّ لَمْ يَفْعَلِ
وَتَرَى الْغَنَى إِذَا تَكَامَلَ مَالُهُ يُخْشَى وَيُنْحَلُ^(١) كُلَّ مَا لَمْ يَعْمَلِ^(٢)

داريت كل الناس لكن . . .

وَدَارَيْتُ كُلَّ النَّاسِ لَكِنُّ حَاسِدِي مَدَارَاتُهُ عَزَّتْ وَعَزَّ مَنَالُهَا
وَكَيْفَ يُدَارِي الْمَرْءُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا

(١) نحل بالفتح ينحل : نسب لنفسه ما عمله غيره .
(٢) فى الأصل : وترى الشقى إذا تكامل عيه يشقى .

الزناديين

عَفَّوْا تَعْفُ نِسَاؤُكُمْ فِي الْمَحْرَمِ وَتَجَنَّبُوا مَالًا يَلِيْقُ بِمُسْلِمٍ
إِنَّ الزَّنَا دَيْنٌ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ كَانَ الزَّنَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَأَعْلَمِ

أسباب الغنى

أَجُودٌ بِمَوْجُودٍ وَلَوْ بَتَّ طَاوِيًا^(١)
عَلَى الْجُوعِ كَشْحًا^(٢) وَالْحَشَا^(٣) يَتَأَلَّمُ
وَأَظْهَرَ أَسْبَابَ الْغِنَى بَيْنَ رِفْقَتِي لِيخْفَاهُمْ حَالِي وَإِنِّي لُمَعْدِمٌ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَشْكُوفَاتِي حَقِيقًا فَإِنَّ اللَّهَ بِالْحَالِ أَعْلَمُ

ليس للشامتين يوم

وحدث أبو الحسن الصابونجي المصري قال : رأيت قبر أبي عبد الله الشافعي
بمصر وعند رأسه لوح مكتوب عليه^(٤) :

-
- (١) طاوياً : جائعاً وفعله طوى طياً فهو طاو وطيان .
(٢) كشحاً : الكشح ما بين السرة ووسط الظهر ، ومنه يقال طوى كشحه على الأمر استمر عليه .
(٣) الحشا : ما انضمت عليه الضلوع ومنه يقال أنا في حشا فلان أي في كنفه .
(٤) عن الفهرست لابن النديم .

قَضَيْتُ نَحْبِي فَسِرَ قَوْمٌ حُمُقِي بِهِمْ غَفْلَةٌ وَقَوْمٌ
كَانَ يَوْمِي عَلَى حَتْمٍ وَلَيْسَ لِلشَّامِتِينَ يَوْمٌ
وهو شعر أشبه بشعر الشافعي - ولعله كان أوصى بكتابه على قبره .

يا هاتكا حرم الرجال

يَاهَاتِكَا حُرْمَ الرَّجَالِ وَقَاطِعَا
لَوْ كُنْتِ حُرًّا مِنْ سُلَالَةٍ مَاجِدٍ
مَنْ يَزِنُ يُزَنُ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ
سُبُلَ الْمَوَدَّةِ عَشْتِ غَيْرَ مُكْرَمٍ
مَا كُنْتِ هَتَاكَا لِحُرْمَةِ مُسْلِمٍ
إِنْ كُنْتِ يَاهَذَا لَبِيبًا فَافْهَمِ

قد بلسوتك

قال الأصبهاني : حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسين بن محمد بن
غوث الدمشقي قال : سمعت المزني يقول : كُلم الشافعي في بعض ما يراد منه
فأنشأ يقول :

وَلَقَدْ بَلَّوْتُكَ وَأَبْتَلَيْتَ خَلِيقَتِي
وَلَقَدْ كَفَّاكَ مُعَلِّمِي تَعْلِيمِي (١)

(١) حلية الأولياء ٩ / ١٤٩ وآداب الشافعي للرازي ص ٢٧٣ ، والمعنى لا تتعب نفسك في شرح رأيك
فأنا على بينة منه ولن أعمل به .

فضل العلم

الْعِلْمُ مِنْ فَضْلِهِ ، لِمَنْ خَدَمَهُ
فَوَاجِبٌ صَوْنُهُ عَلَيْهِ كَمَا
فَمَنْ حَوَى الْعِلْمَ ثُمَّ أَوْدَعَهُ
أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَهُ
يَصُونُونَ فِي النَّاسِ عِرْضَهُ وَدَمَهُ
بِجَهْلِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ ظَلَمَهُ

* * *

قافية النون كيف ننال العلم ؟

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ
ذَكَاءٌ ، وَحِرْصٌ ، وَاجْتِهَادٌ ، وَبُلْغَةٌ
سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بَيَانٍ
وَصُحْبَةٍ أُسْتَاذٍ ، وَطُولِ زَمَانٍ

صنت نفسي عن الهوان

فَنَعْتُ بِالْقُوتِ مِنْ زَمَانِي
خَوْفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا
مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيًّا
وَمَنْ رَأَى بَعِينٍ نَقْصًا
وَصَنْتُ نَفْسِي عَنِ الْهَوَانِ
فَضَّلْتُ فَلَانٍ عَلَى فَلَانٍ
فَلَا أُبَالِي إِذَا جَفَانِي
رَأَيْتُهُ بِأَلْتِي رَأَيْتِي
رَأَيْتُهُ كَامِلَ الْمَعَانِي
وَمَنْ رَأَى بَعِينٍ تَمَّ

أهين لهم نفسى

قال أبو يعقوب البويطى : لم أزل أسمع الشافعى كثيرا يردد هذا البيت :
أهين لهم نفسى لأكرمهم بها ولن تكرم النفس التى لانهينها
وقد يكون البيت ليس له ، وإنما أنشده ، والبويطى من أصحاب الشافعى .

احفظ لسانك

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ تُعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الْأَقْرَانَ

نعيب زماننا

نَعِيبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وَمَا لَزَمَانِنَا عَيْبُ سِوَانَا
وَنَهْجُودَا الزَّمَانَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ لَنَا هَجَانَا
وَلَيْسَ الذُّئْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذِئْبٍ وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عَيَانَا

عزاء (١)

وقال الإمام الشافعي معزياً :

إِنِّي أَعَزِّيكَ لَا أَنِّي عَلَيَّ طَمَعٌ
فَمَا الْمُعَزَّى بِيَاقٍ بَعْدَ صَاحِبِهِ
مَنْ الْخُلُودِ ، وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ
وَلَا الْمُعَزَّى وَإِنْ عَاشَا إِلَى حَيْثُ (١)

فؤادي من فؤادك طالق

قال الشافعي في صديق له تولى إمرة « بعض البلاد » فتغيرت عاداته عما كانت

عليه ، فكتب إليه الشافعي يقول :

أَذْهَبُ فؤُودَكَ مِنْ فؤَادِي طَالِقٌ
فَإِنْ أَرَعَوَيْتَ فَإِنَّهَا تَطْلِيقَةٌ
وَأَنْ أَمْتَنَعْتَ شَفَعْتُهَا بِمِثَالِهَا
وَإِذَا الثَّلَاثُ أَتَتْكَ مِنْ بِنْتٍ
أَبْدَأُ وَلَيْسَ طَلَاقُ ذَاتِ الْبَيْنِ
وَيَدُومُ وَدُّكَ لِي عَلَيَّ ثُنْتَيْنِ
فَتَكُونُ تَطْلِيقَيْنِ فِي حَيْضَيْنِ
لَمْ تُغْنِ عَنْكَ وَلايَةَ (السَّيِّبِينَ) (١)

(١) عن معجم الأدباء ١٧ / ٣٠٨ وشرح المقامات للشريشي .
(٢) سنة الدين : أي سنة الدين المجاملة بالتعزية لتصير المفجوعين حتى يجد أهل الميت أنسا بالمجاملة تنسيهم فجيعتهم حيناً . ويقول بعض العلماء : إنها تعويض روي يجد به المحزونون صبراً وتسلياً .
أما الصوفية فلهم في نعمة نسيان الميت كلام .
والمعزى والمعزى في البيت الثاني الأول اسم للفاعل والثاني اسم للمفعول ، وكل منهما مجهولان يتصور في كل واحد منهما أن يسبق وأن يلحق فهما متساويان . وهذا من قدرة العربية وفصاحتها .
(٣) السيبين : بلد .

ارجع إلى رب العباد

زَنْ مَنْ وَزَّنتَ بِمَا وَزَّ
مَنْ جَا إِلَيْكَ فَرَّحَ إِلَيْ
مَنْ ظَنَّ أَنَّكَ دُونَهُ
وَارْجِعْ إِلَى رَبِّ الْعِبَادِ
نَكَ وَمَا وَزَّنتَ بِهِ فَرَّ
هَ وَمَنْ جَفَاكَ فَصَدَّ عَنْهُ
فَاتَرُكْ هَوَاهُ إِذْ وَهِنَهُ
دِ فَكُلُّ مَا يَأْتِيكَ مِنْهُ
سَهَرَتْ أَعْيُنَ

سَهَرَتْ أَعْيُنٌ ، وَنَامَتْ عُيُونُ
فَادْرَأَ الهمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ النَّفْسِ
إِنَّ رَبًّا كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَاكَ
فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ
سِ فَحَمَلَانُكَ الهمومَ جُنُونُ
نَ سَيَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَايَكُونُ

أمت مطامعي

أَمْتُ مَطَامِعِي فَأَرَحْتُ نَفْسِي
وَأَحْيَيْتُ الْقُنُوعَ وَكَانَ مَيْتًا
إِذَا طَمَعُ يَحُلُّ بِقَلْبِ عَبْدٍ
فَإِنَّ النَّفْسَ مَا طَمِعَتْ تَهُونُ
فِي إِحْيَائِهِ عَرَضُ مَصُونُ
عَلْتَهُ مَهَانَةٌ وَعَلَاهُ هُونُ

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَعِلْمَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسَوَاسُ الشَّيَاطِينِ (١)

جنون الجنون

قال الأصبهاني : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، قال : سمعت محمد بن
بشير الأبري يقول : سمعت الربيع يقول كنت عند الشافعي فجاء رجل فكلمه
بكلام فأنشأ الشافعي يقول (٢) :
جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتُ بِوَأَجِدِ طَبِيباً يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ

أهين نفسي

وحدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا عبد العزيز بن أبي رجاء ، حدثنا الربيع بن
سليمان قال : كتب إليّ البويطي وهو في السجن : حسن خلقك مع الغرباء
ووطن نفسك لهم ، فإني كثيراً ما سمعت الشافعي يقول (٣) :
أهينُ لهمُ نفسي وأكرمُها بهم (٤) ولا تُكْرِمُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تُهِينُهَا

* * *

(١) البداية والنهاية لابن كثير الحافظ ٢٥٤/١٠ .
(٢) حلية الاولياء ١٤٧/٩ .
(٣) حلية الاولياء ٩/١٤٨ .
(٤) رواية « آداب الشافعي للرازي » : لكي يكرمونها . . . ولن تكرم - آداب الشافعي للرازي ص

حشو الكلام

لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَامِ م إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عَيْونِهِ
وَالصُّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ
وَعَلَى الْفَتَى لَطْبَاعِهِ سِمَةٌ تَلُوحُ عَلَى جَبِينِهِ

سأصبر

سَأَصْبِرُ لِلْحَمَامِ وَقَدْ أَتَانِي وَإِلَّا فَهُوَ آتٍ بَعْدَ حِينِ
وَإِنْ أَسْلَمَ يَمِتْ قَبْلِي حَبِيبٌ وَمَوْتُ أَحِبَّتِي قَبْلِي يَسُونِي

قافية الهاء

الفقيه والسفيه

قال الشافعي رضي الله عنه (١) :
ومنزلة السفيه من الفقيه
فهذا زاهد في قرب هذا
إذا غلب الشقاء على بسفيه
كمنزلة الفقيه من السفيه
وهذا فيه أزهى منه فيه
تقطع في محالفة الفقيه

* * *

فهرست الديوان

الصحيفة	الموضوع
٣	سيرة الشافعي وشاعريته
٢٧	جامعة القسطنطينية التي تخرج منها
٤٥	أجيال علي يد الإمام الشافعي
٤٩	قافية الهمزة
٥٦	قافية الباء
٦٣	قافية التاء
٦٥	قافية الجيم
٦٧	قافية الحاء
٧٦	قافية الدال
٨٥	قافية الزاء
٨٨	قافية السين
٨٩	قافية الصاد
٩٠	قافية الضاد
٩٤	قافية العين
٩٧	قافية الفاء
١٠٢	قافية القاف
١٠٤	قافية الكاف
١١٠	قافية اللام
١١٦	قافية الميم
١٢٥	قافية النون
١٢٦	قافية الهاء
١٢٦	قافية الألف المقصورة
١٢٦	قافية الياء